

على احمد زكبي

هَمَام

فني بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية



هَمَّام
فِي بِلَادِ الْأَحْقَافِ

هَمَام

في بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية

نظم

على أحمد بكشبر

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

مقدمة المؤلف

هذه المسرحية الشعرية التي استوحيت موضوعها من الحياة الاجتماعية بحضرموت ، وكتبها وأنا بمدينة الطائف ثم نشرتها بالقاهرة سنة ١٩٣٤ ، كانت أول تجربة لي في الكتابة للمسرح ، وكان لها صداها في الأوساط الحضرية منذ ثلاثين عامًا !

وقد تقدم إليّ الأخ الأديب الفاضل الأستاذ علي محمد الصبان مقترحاً إعادة طبعها ، ليتاح للأجيال الحضرية الجديدة الاطلاع عليها ، باعتبارها وثيقة أدبية لمرحلة من مراحل التطور في حياة المجتمع الحضرمي ، فرافقته على ذلك ، شاكرًا له جميل اقتراحه ، راجيًا له التوفيق فيما يتوخاه من خدمة أمتنا العربية .

المؤلف
علي أحمد باكثير

٦ ربيع الثاني ١٣٨٥

القاهرة

٣ أغسطس ١٩٦٥

تصديـر

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ النقادة

حسن كامل الصيرفي

ناظم هذه الدرامة الشعرية أديب حضرمي يحمل بين جنبيه قلباً خفاقاً
ينزع إلى الحرية .. ويصبو إلى رحابها الواسعة المتزامية الأكثاف ، ولهذه
الرغبة نراه يطوي الأنجاد والوهاد ويركب متون البحار حتى يبلغ أرض
الكنانة ، رسولا من مستقبل حضرموت إلى حاضر مصر ، لينقل إلى وطنه
قبساً من نور بهي .

هو شعلة من الحياة التي تعرف حقها من الوجود الذي يأبى الركود ،
ولهذا تجددت فيه الروح الناهضة ، التي أوحى إليه بهذه الدرامة .

هو شاب مخلص لوطنه كل الإخلاص ، فإذا كان ثائراً على حالة وطنه
الراهننة ، فأغما هذه الثورة عين الإخلاص .. وما ثورته إلا الرغبة في
الإصلاح.

تلمح في درامته صوراً سريعة العرض تمثل ذلك القطر الشقيق رازحاً
تحت أعباء ثقيلة من بدع متوارثة ، خلفتها عصور مظلمة ، وسياسة غريبة

عجيبة ، تتحكم في مصير شعب ضعيف خدرته بالعقائد والأوهام ، فسيرته في سبلها طائعا طاعة عمياء ، وليس أقدر من العقائد على أسر النفوس التي تضعها الفطرة في دائرة محدودة ، وتسهل تفكيرها ، وتقصر مدى نظرتها .
فهناك فئة من الناس تنزع الحياة الاجتماعية وتسيطر على الناس بتهويشها وخداعها ، وقد عرضت الدراما صوراً لها ساخرة منها هذه الآيات :

ولي الله ذو الجبر	و الأروحية الخضر
وذو المسواك في العمسة	قد أربى على الشسير
ورب السبحة الغسارق	في التسبيح والذكر
بهمسا يذكر في الناس	ولا يذكر في السر

يرجع ناظم هذه الدراما جهل شعبه إلى جهل المرأة ، فهو يريد لها متعلمة كشقيقاتها الشرقيات اللاتي عرفن مكاتهن من شعوبهن ، فهن يطلبن حقوقهن ، فكان لتلك النهضة أثرها في شعوبهن .
وبطل درامته (الشاعر المصلح) الذي جعله المؤلف شاماً بحدداً يستخط على المسيطرين بخداعهم وأضاليلهم على عقول الشعب ، ويحاول جهد استطاعته بث أفكار جديدة في بيئته فلا يلاقى إلا عنتاً ، ولا يوصف إلا بالكفر والإلحاد .

هذا البطل يجتهد أن يوصل أفكاره إلى الشعب عن طريق المرأة ، لأن المرأة كما يقول المؤلف على لسان سيدة من أشخاص درامته :
صاحبات الزمان نحن حياة الناس فيه والموت في أيدينا !

وهذا البطل موزع القلب والفكر بين حبين قاسيين .. حب لوطنه
ورغبة في تحريره من الأوهام وترقيته إلى مصاف البلاد الراقية ، وحب لفتاة
تملك عليه شعاب قلبه .

وبين هذه الحياة المضطربة من صدمات عنيفة ، ومن محن وإنكار ،
ومن قلق وكفاح ، ومن رغبة وخفوق ، يرينا المؤلف صوراً من الحياة
الاجتماعية في عاصمة الأحقاف ، كل ذلك في أسلوب طلي بسيط .

على أن المؤلف — بالرغم من هذه الثورة المضطربة في نفسه — لم يزل
يرفق ببيئته ، فهو يلطف من حدة أفكاره بالألفاظ قريبة إلى روح الشعب ،
فيها من إطفاء الغضبة ما يمنع مسخط الساخطين وحنقهم . وله الحق في
ذلك فهو يلجأ إلى مثل تلك الألفاظ لكي يستطيع بث آرائه وأفكاره .

وأرى أنه لو ختم درامته بغير ما خُتمت به لكان ذلك أشد وقعاً وأجلّ
أثراً ؛ فلقد كان يجدر به أن يختتمها بالحياة لا بالموت . وبعد فإتمنى له حين
يعود إلى وطنه فيقوم بهذا الدور ، ويث فيه الأفكار النافعة والآراء الصائبة
ما تمتلئ به روحه ويزخر به إيمانه ، وأن يجعل الله حاميته دوره الظفر والنصر
وتحقيق الأمناني .

القاهرة ٢٩ صفر ١٣٥٣ - ١٢ يونية ١٩٣٤

حسن كاسل الصموني

الإهداء

إلى مصدر الوحي الأول !
إلى ملاكي الجميل الذي سبقني إلى عالم الخلود ، وكلما ذكرته أوحى
إليّ !
وإلى الشعب الحضرمي الذي أحبه وأعيش من أجله ، أهدي :

هذه الأقصوصة

كذكرى خالدة للأول ،
وذكرى نافعة للثاني .

علي أحمد باكثير

تمهيد

مكان الرواية	: مدينة (سيوون) عاصمة حضرموت الداخل
زمن الرواية	: العصر الحاضر
أشخاص الرواية	:
همام	-- بطل الرواية
حُسن	-- حبيبة همام
محمد	-- صديق همام ونصيره في المبدأ
علوية	-- نصيرة وحبيبة محمد
زهراء	-- أخت همام
خديجة	-- أم حُسن
شهاب	-- عم حُسن ووكيل أبيها
ولسي الله	-- خرافي دجال يتجر بدينه
سالم	-- صديق محمد
الأمير أحمد	-- أمير البلاد
بكر	-- غني يطلب يد حُسن

	أحمد
	عتيل
جماعة من الأدباء	ابن عيسى
	عبد الله المغني
بدوي رافق هماما في طريقه إلى الساحل	عامر
	ناهية
أخوات عامر البدوي	سعدى
	لبنى
رجال وشيوخ ونساء ووصائف ومغنيات	نكرات مسرحية

الفصل الأول

« غرفة متوسطة السعة على جوانبها خزائن مملوءة بالكتب، مفروش جانب منها بسجاد رومي ثمين ، وعلى الجانب الثاني منضدة صغيرة عليها أدوات الكتابة يحيط بها خمسة كراسي بسيطة . ويظهر همام في الجانب المفروش من الغرفة متمددًا واهي الأركان ، يئن أليًا خفيًا يشبه الغمغمة . تدخل عليه زهراء فتعرف ما به وتتجاهل فتسأل : »

المشهد الأول

زهراء : أخي ما بك اليوم ؟ إنني أرا
ك قليل النشاط كثير الضجر
أأنت مريض وقيت الشُّرور ، وبلغك الله طول العُمر

همام : أي إن بي مرضاً في الفؤاد
ولا تجهلين ماذا بعينو
د يا زهراء يُذيونسي بالخطر
ك مما بدا منه أو ما استتر
فماذا وراءك ؟ هل من جديد
سد يحفف من وجدي المستعر ؟

زهراء : أخي لا تحف في الهوى أن تفي
ولا تجعلنَّ لئساً إليك
سباً؟ وهل يجهل الناس فضل القمر؟
سبيلاً فقي الئس فوت الوطر
أيأس متلك وهو الرُّحيح
في الكفِّ الشَّاتلات الأخرى؟
فأحرى بخيرك أن يسريخ
إلى الئس . لا بد أن تتصير
كأني بحسن نرف إليك
عروساً تلم ذبول الخضر
تحيط بها الغايات الحسا
ك كالهدر بين النجوم الزهر

كأنّي بأبياتنا قد غدت
وأنت عروسٌ تُحَيّ الوفسو
تُصَفّق بِالسَّفرح المزدهير
دَ وتخطّط بين صفوف الزُّمر

هُمام : أزهراء لا عِدَمَتُكَ الديا
لأنتِ العزاء إذا ما أتيتِ
رُ ، حديثك يقشع عني الكدر
وأنتِ الهناء وأنتِ الخير^(١)
فأين الكتاب ؟ أما تقرئين ؟

زهراء : بلى ! ذا الكتاب معي قد حضر
كتاب كريمٌ خَلِيق بِهِ
بأن يكتبوه بنور البَصَرِ
« بلوغ المرام » و « سُبل السلا
م » عليه تُحَجَّل منه الغُرُورُ
أحاديث طيه وآيُ الكُسا
ب تالّلُو فيها خِلالَ السَّطر
وأقوال مُجتهدِي الصَّحب والأئمّة
— من كل حَبْرٍ أهر
فيأخذ منها الفتى ما صفا
ويترك منها الفتى ما كدر
ومن لاذَ مِن بعدها بالهوى
فإن الجحيمَ هي المُستَقَرُّ

« يتبسم همام إعجابًا بهذه الروح الإصلاحية التي وفق
لهدرها في نفس أخته . وتعرف هي أن في مثل هذا الحديث
تسلية له وتهذبة لأفكاره المضطربة فتطرّد في حديثها » :

فلا سَلِمَت كُتُب الجامدين ولا فاز قارئها بالوطر
صَحائفُ لا روحَ فيها ولا يَجول بها ذكرٌ خيرَ البشر
يُصوِّرُ فيها مُحالَ الأمور ، ويُترك فيها مُهِمُّ الصُّور
فتلك الجواهر أين الرّما لُ منها وأين خسيس الحجر ؟

« يستولى على همهم الانبساط ويأمر أخته بالقراءة لفقراً لفصلاً من

الكتاب يقول لها بعد الانتهاء »

صار فرضاً عليك أن تنشري هـ	هذه الهدى للشعب من هدى أمهم	هذه الهدى في جملة النساء
وبنات الأحقاف أولى بأن يخلق	وبنات يطهرن من لؤ	وبنات يطهرن من لؤ
فيريّن الحياة من غير معنى	فيريّن الحياة من غير معنى	فيريّن الحياة من غير معنى
زهره : إنطرب يا همم نفساً فما تر	ولقد سررتي استماع صديق	ولقد سررتي استماع صديق
همم : برك الله في الصغار فقيهن	إنما الترت في العجائز يحمّد	إنما الترت في العجائز يحمّد
زهره : نحن بالأمس ثلة ضمنا بجلوس	ولدينا شريفة جمعت حسنا	ولدينا شريفة جمعت حسنا
سمعتني - ولست أعرفها - أله	سقت من أخبار الشهيرات في	سقت من أخبار الشهيرات في
تساقهن الحديث عن سيدات	ثم حرضنهن أن يتشبهن	ثم حرضنهن أن يتشبهن
قلت ليس الرجال أولى بكس	ومن العلم ما بُعِثنا الدين	ومن العلم ما بُعِثنا الدين
وأهم الأمور تربية الأو	صاحبات الزمان نحن ! حياة الن	صاحبات الزمان نحن ! حياة الن
إن نقمنا فالورى بنا معداء		

فعلينا لرئيسنا واجبات
كيف نستطيع بالجهالة يوما
صحن في اسماع الرجال : أليس
فيم غادرتم البنات على جهل
هل أقمتهم مدارسنا للواتسي
إذ أقمتهم مدارسنا للديننا ؟
ليس نيرا من إثمها ما بقينا
أن نؤدي أمانة الله فينا ؟
من العلم فرضا على النساء مينا ؟
وقمتهم تعلمون البنينا ؟
إذ أقمتهم مدارسنا للديننا ؟



فتدنت تلك الشريفة مني
ثم قالت : عمّن تلقيت هذا ؟
عن همام . قالت همام أضحى
والذي يذكرون عنه ابتداء
إنني قد أنست من قولك السا
فتساءلت من يكون الذي لقى
فذكرت امرأ جعلت فدا
ليتسى أستطيع أن ألقى عنه
قلت : نفسي فذاك يا ابنة طه
ليس بدعا أن تنصروا سن
إنما البدع أن يكون بنو المخ
غير أن ما رأيت مقلد في نس
إن سرا في الأمر يحسن لو أ
نحن من بيت سادة يكره الدخ
وحبتي من الثناء فنونا
قلت عن صفوي الذي تعرفنا
بحسن بين السورى مفتونا ؟
بس هذا السورى وما يفتونا !
لفى روحا قياضة ويقبنا
من هذى الهدى تلقينا ؟
ه دون ما عانه به الجاهلوننا !
ه شيئا ! أني لذا أن يكوننا
أنتم آل بيتك الأكرمونا
ه الهادي بنصرها قمونا
ستار عن هديه من الناكبيننا !
ه «سيوون» تعشق المصلحيننا
ريه ، قالت يسرني أن يبيننا
هل ويأبى من الأمور الدونا

جَدُّنَا الْأَكْبَرُ الشَّرِيفُ « عَقِيلُ »

سَنُ نَهْجُ الْمَدَى لَنَا مَا حِينَا

عَبْدَنَا مِنْ آتِسَارِهِ « سَيْفَةُ الْمَسْلُوكِ »

لِ « يَفْرِي أَوْهَامِهِمْ وَالظُّنُونَا »

* * *

هَمَام : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ أَهْدَى قَتَاةً
جَدُّهَا كَانَ فِي الْحِجَازِ مَنَارًا
ذَبَّ عَنْ سَنَةِ النَّبِيِّ وَلَا قَسَى
رَبِّ آمَنْتُ بِالْوَزَائَةِ أَنْتَ
هَذِهِ رُوحُ جَدُّهَا ، رَبُّ وَفَقَ
« يَلْتَفَتُ إِلَى زَهْرَاءَ مَسَائِلًا » :

أَلَدِيهَا رُوحٌ ؟

زَهْرَاءَ : قَضَى زَوْجُهَا النَّحْدَ
وَقَضَى قَبْلَ رُوحِهَا أَبَوَاهَا
خَبَّرْتَنِي عَنْهَا سَعِيدَةً إِذْ كَانَتْ
هَمَام : مَنْ يَلِيهَا إِذَنْ ؟

زَهْرَاءَ : شَفِيقُ أَبِيهِ
هَمَام : ذَكَرْنَا لَكِي نَوَاسِيَهُ الْقَبْرِ
زَهْرَاءَ : أَصَبَتْ قَمِينَا

- همام : لم تجد بعد زوجها خاطباً ؟
 زهراء : لا .
 همام : أو ليست حسناً كما تذكرينا ؟
 زهراء : بل هي الحسن كله — عليم
 همام : غير أن الشباب في هذه الألف
 إنما ينظرون للمال فلما لا هو الزوجة التي يخطبوننا
 ويروون الكمالات في ذات أم لا يسرى زوج بنتها مغبوننا
 تتوخى رضا في كل حين فترى من الطعام فنونا
 فكان لم يكن لديهم من الحب سوى ما يسد منهم بطونا

المشهد الثاني

« في القاعة الكبرى للمدرسة حيث تقام الحفلة السنوية
 وقد حضر إليها الناس من كل الطبقات لمشاهدة التلامذة
 ويسمعوا خطبهم ومخاوراتهم .
 التلاميذ في وسط القاعة متميزين عن الناس والناس يحيطون
 بهم . همام يقوم بعد فراغ التلاميذ ويعتلي منصة الخطابة » .

يا بني مدرستي إنسى لكم ناصح يصفىكم النصيح أمين
 لبنات الشعب أنتم فليكن كلها من ذلك الصليب المتين
 إن برنامج تدريسيكم ليس برنامج قوم مرتقين

ترهقون النشء بالحفظ فمن حفظ تقرير إلى حفظ متون
ليس في ذاكم لهم من صالح إنه يقتل فهم الناشئين
فدعوا الحشو ورؤوا فيهم ملكات الخلق في كل الفنون
استقوا التوحيد من ينبوعه وانبثوا كتب الصفات الأربعين
لا تريد النفس إلا حسيرة لا كأسلوب الكتاب المستبين
لم تولف لكم هاتيك ، بل ألفوها لحجاج الملحين
واقصروا في الفقه لا يأخذكم ليس في الفقه غداء الناهضين !!

« أحد الشيوخ يقوم ويحاول تسكيت همام ويصيح : »

يا عباد الله ! هذا مارقٌ يسدب الناس إلى دين جديد
أسكنوه أسكنوه ! إنه يا عباد الله شيطان مريد
شيخ آخر : هذا وهابي !
ثالث : هذا معتزلي !
رابع : سئلوا فاه
خامس : لا تدعوه يفوي الناس !
سادس : هذا ما كنا نخشاه !

« همام رافعاً صوته في شيء من الغضب : »

أنا لا أصغي لتسكيت امرئ أنا لا أخشى صياح الصائحين
خطبتي لا بسد من إثمها
شيخ متنور : أئتم الخطبة إنا سامعون
لا تبسل ؛ من رام أن يقطعها فليقم إن شاء في المنصرفين

همام : أنا لم أذعُ إلى غم الهُدَى : إلى غير نهوض المسلمين
أنقمتهم دعوة الناس إلى
« ملتفتا إلى الشباب »

اسمعوني يا شباب الحى ، لا
... ..
اقرأ وافقه حديث المصطفى
لا تهابوا اليوم أن تجهلوا
وكتاب الله باقٍ خالد
ادرسوه درس أحياء ولا
ادرسوه وفق نهج خطئه
إنه يشعل في أنفسكم
إنه يبعث في أرواحكم
فتح الدنيا بها أسلافنا
وأضعناها فهُنَّا بعدها
ليست الأخلاق لينا في الخطى
إنما الأخلاق أن لا تُبطلوا
إنما الأخلاق أن لا تتركوا
رفع الإسلام من أنفسكم
لا تذللوا لِسِوَى الله ، ولا

يُقصكم عني مقالُ الجامدين !
ليس في الفقه غذاء الناهضين !
تعبروا الشكَّ إلى برد اليقين
إن سرَّ العلم للمجاهدين !!
تجلى آياته في كل حين
تدرسوه دُرُس قوم ميتين
(مصلح الإسلام^(١)) ذو الفضل المبين
جلوة الدين وعِزَّ المؤمنين
قوة هائلة لا تستكين
من ربى الغرب إلى السور المكين
وغلونا مُضغَّةً للأكلين
وعضوعاً هو للنفس مهين
غير ما للناس أنتم تظهرون
نصرة الحق للوم اللاميين
فارفعوها عن دعاء المقبرين
تخضعوا إلا لرب العالمين

(١) هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

« أحد الحاضرين لصاحبه » :

لَّيْسَ مَا أَفْصَحَهُ !

الآخر : والحق - والله - معه !
 الأول : لكن هؤلاء لا يغفوننا أن نسلم معه
 الثاني : أقواله مؤلمة هؤلاء موجهة
 الأول : لأنها تقطع ما كان لهم من منفعة
 همام : حكموا الأنصاف فيما بينكم لا يكن قوّم لقوم حاقرين
 فالسبابة على أعنقها ميزة الإسلام عند الباحثين !
 وأحو الحق إذا لم يُعطَ أخذ الحق انتهأ باليمين

* * *

المشهد الثالث

« بهو كبير - في دار أحد أدباء البلد - مفروش بالسجاد
 الجميلة من المخمل الثمين ، منقوشة جدرانها برسوم فنية جميلة
 للأزهار المختلفة تحملها الأغصان الخضراء . جماعة من الأدباء
 في المجلس بينهم كثير من أتباعهم المتأدين يشربون ويتحدثون .
 أمامهم عدة شاي مصقولة يخطف بريقها الأبصار يتولاها
 أحدهم . يدخل همام مسلماً » .

همام : عموا مساءً يا أصدقائي
 الحاضرون : مسّيت بالخير والهناء

أهلاً وسهلاً

أحمد : (أحد الأدباء) هذا ابن عيسى يسلم فبنينا أبنا العسلاء
 همام : في الدين أو في البيان ؟
 أحمد : بل في كل الشقون على السواء
 همام : لا يا ابن عيسى جزت المدى لا بد من العدل في القضاء
 « ملفتاً إلى أحمد »

وأنت ماذا تقول فيه ؟

أحمد : إنني أراه في الأتقياء
 همام : كلاً كما قد غلا ، فهذا ذم ، وذا لئج في في الثناء
 بل هو في شعره إمام جدد نهجاً للشعراء
 لكنّه كان في إرنيا من دين مولاه واميراء
 فقال ما قال غير حاشي ولا مُنداج ولا مُراء
 وممكن أنه حطلي في أخرى لياليه باهتداء
 فربّ شلّ أفضى بمولا هـ بعد ما حار - للجلاء
 « تدار كؤوس الشاي ويأخذ همام كأساً »

شراب الشاي خير لي من الدنيا وما فيها
 إذا ما أقبلت كأس كحز في تهاديهما
 قولي لهم من نفسي ودانت لي أمانيهما
 عرفتم من هو القائل هذا الشعر في الشاي ؟
 يرى في الشاي دنياه فما صيحة ذا الراي ؟
 (أحد الأدباء) : عليل

لا تعجن همائم تلك حقيقة كالشمس فيها الشاربون سواء

ما قيمة الدنيا وما فيها إذا ما لم يكن شايء ولا ندماء ؟
 همام : إن في الشساي عسزاء لصريع الهيم والغيم
 لكيسب أو حزيبين أو عميد أو متيم
 حاز لطف الخمر إلا أنه غير محرم ؟
 من صفاء اللون في العين وحسن السلق في الفم
 هو مسلاة أديب ورسمع الناس وينظم
 ورسلول للتأخي ء منجاة ومغنى
 غير أن القصيدة في الأشيا ففلوننا فيه حتى
 وغدا وهو على القبر وشربناه بلا وزن
 فلكم يسئلنا الما ل وكم يسئلنا كم
 ولكم أنحى على يست كريسهم فهدم
 ولكم عائلته جر ولقيد زاد بسلام
 فهو في القصر ، وفي البيوت ، وفي الكوخ المرمم
 عقيل - ملتفتا إلى «عبد الله» المغني :

يا بلبل الأفراح والسُرور اصدح بموسيقاك في الحضور
 غن لنا شعر (أبي كثر) في الشساي وانشر ميت القبور
 (يتهدأ المغني ثم يرفع عقيرته يتغني بصوته الجميل ولحنه الطروب) :
 يا صاحب القلب الشقي بقومه إرفق بهذا القلب لا يتحطم

الحسدم بلادك ما استطعت وكل إلى

مولاك ما لم تستطعه وسلم
ومن الجفا أن لا تحيي مثلما حياك وجه العيد مبتسم الفم
ذر بعض همك واقض بعض حقوقه
لا بلد للمحزون من متبسم !
واقذف شياطين الهموم بأكوس

تنفض من (براد) شاي معلّم^(١)
مخضرة جنباته فاعجب له من جنة حضراء فوق جهنم !
شاي يفوز من احتسائه بلثمة من كل نحل في الحسان ومبسم !
من (باسلامة) مثل ذوب التبر أو

من (مشعي) مثل لون العندم^(٢)
مثل الطلاء في لونها وصفائها ونقيضها في رجسها والمائم
لا نقص عنها فيه إلا أنه خلو المذاق وأنه لم يحرم
فاشر به متخذاً نديسك كل ذي أدب متى نادمته لا تندم

همام : أحسنت يا بلبل الوادي !

آخر : أحدث

آخر : لقد رَوَّحَ ست بالصوت أكباداً وأرواحاً

همام : وقد تقرد بالإحسان شاعرنا إذ ضمّن الشعر توصيفاً وإصلاحاً

وأنصتوا لشاعر من شعرائكم سري

« الحامدي » يصف الشاي بوصف عبقرى !

(١) المراد يطلق هناك على إبريق الشاي .

(٢) صنفان من الشاي اشتهرا في حضرموت بهذين الاسمين .

روّق لها ماء الغمام وهاتها لي والحباب يجول في جنباتها
صهباء ما عبت بها يدُ عاصر ما عاشرت إلا أكف سقاتها
من جيد الشاي استحال عصرها
فغدت تحاكي الشهب في جاماتها
قد راق منظرها ورق زجاجها
فإعلم لم يُلحقوا كاساتها
لولا انتصاف الكاس خيل أنها
في كف ساقبها تقوم بذاتها |
وإذا الهموم على النديم تكاثفت
وبدت أشعتها جلت ظلماتها |

حقاً لدينا نهضة أديّة لا تُنكر
عمّرت نوادينا ، بها يستبشر المستبشر
نشط البيان فشاعر يتلوه وآخر ينثر
هذا لعمرى مؤذن بنهوضنا ومبشّر

(يتنهّد)

لكن .. مشي العلم في أحيائنا متعثر |
جمّد (الفقيه) على متو ن بالشُّروح تُفسّر
وكانها التنزيل أو هي بالقداسة أجسّد !!
ويرنل (النحوي) كُتب خلافيه ويقرّر
بمضي عليه عمره لا يستطيع يُعبر |
أما (الحديث) فإنهم يتلونسه كسي يؤجروا
ووظيفة (الذكر الحكيم) على القبور يكرّر |
أما سوى هذي العلو م غامرهُ مُستحقّر

كيف النهوض لأمة لا علم فيها يُذكر ؟
في الدين والدنيا جميعاً سيرها مُتَقَهِّقِر !
أحد المتأدين (معترضاً) :

إنا علينا السعي للـ سَأَحْرَى ؛ وللدنيا سوانا !
أو ليست الدنيا بسجـ من المؤمنين كما أتانا ؟
الله يأمر أن نكو نَ أَجَلْ أَهْلُ الْأَرْضِ شَانَا !
وأشملهم بأَسْأَ وأر فعهم وأعلامهم مكانا
كيما نقيم العدل في الـ لَدُنْيا وَغَلَاها أمانا
فإذا اتبعنا ما يقولُ فسوف يُدْعِلُنَا الْجَنَانَا
فنرى بها الدنيا كسجـ من لا نرى فيها رضانا
والدين بالدنيا فليس يقـ سَوْمُ ما ضَعُفَتْ قُوَانَا
وطبيعةُ الإسلام لا تَرْضَى الْمَذَلَّةَ وَالْهَوَانَا
هذا المرادُ ، وحسبنا قرآنُ مولانا بياننا

همام

« يلتفت إلى جماعة من الشبان العاطلين من أبناء السادة

والمشايخ كانوا قد حضروا المجلس » :

يا بني الأشراف قوموا وانهضوا

فكفى ما كان منكم من كسل

اعملوا لا تتوانيوا واعلموا أن هذا ديننا دين عمل

بينما الناس على أعمالهم بين تشمير وجد مكميل

شهادون كأسراب القطا وشمشون كقطعان الهمل ؟

أفلا يغشاكم فيه حبا ؟ أو لا يلحقكم فيه حجل ؟

أحدهم	: إنهم أتينا نحن ينهوننا	عن تعاطينا لأعمال السفلى
	فعلينا العلم أن نخدمه	وسيفنى من على الله ائكل !
همام	: إن هذا الرأي منهم خطئ	وأراكم لا تقرون الخطئ
	فمتى عُدَّ من العار على	سيد مسعاه في خير السُّبُل ؟
	يجلب الخير إلى أهليه من	والدِّ أعمى وأم تبتهل
	وأحياتٍ على أوجهها	كُمدة اليأس ولألاء الأمل !
	تتمنى ما لدى جاراتها	من أثاث وحُلَّى وحُلل
	أو لم يكتسب المختار في	عهده والآل والصحب الأول ؟
	طالب العلم ولا كسب له	بسؤال الناس لا بُدَّ يسأل
	ليس من لم يكتسب متكلاً	إنما الكاسب عين المتكل !

* * *

أبني الرسول تعلموا	وتدبروا سُنن الحياة
لا تحمدا ! إن الجمود	سبيل من كره النجاة

* * *

أسلافكم وجدودكم	شهدوا عصوراً غير هذا
فلو أنهم شهدوه ما انتب	لوا عن الدنيا انتباذا

* * *

لا تجعلوا أعمالهم	حججاً ، ولكن تحصوها
فعلنوا محاسنها وحل	وا ما تسرون الرئب فيها

* * *

لا بأس من تمجيد ذكرهم — براهم ففي التمجيد ذكرى !
كم حاضِر تحت الرمى — س أفادته ماضيه نشره

* * *

لكن بحيث يُهيب نحر — هو المجد منطلق القبود
العصر غير العصر وال — أشبال أبناء الأسود !

* * *

كانوا هداة الناس بل — كانوا ملائكة التقى
قد أكبروا شأن الفنا — وأصغروا شأن البقا

* * *

لما سرت رُوح التصو — ف والتبلى فيهم
مقتسوا الحياة كأنها — أشياء لا تعنيهم

* * *

فالموت همهمو ، وغا — يسة همهم دار المساب
فَعُنُوا لهذا بالقبو — ر وما إليها من قباب

* * *

وتعشقوا الموتى فأح — يوا لأدكارهم المواسم
يجلسون عندهم العزا — عن عيش سوء غير دائم

* * *

فقفوا أمامهم خشو — عا في سكون واحترام
فقد انقضت أدوارهم — فعليهم أزكى السلام

* * *

شَهِدُوا زَمَانًا فِيهِ قَدْ غَلَبَ الْجَمُودُ عَلَى ذَوِيهِ
أَنْلَوْهُمْ ظُلْمًا لِأَنْ كَانُوا فَرِيقًا مِنْ بَنِيهِ ؟

* * *

إِنَّمَا لِنَظْمِهِمْ إِذَنْ وَهُمْ التَّقَاةُ الصَّالِحُونَ
رَامُوا رِضَى مَوْلَاهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَعْمَلُونَ

* * *

لَكِنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِلْحَقِيقَةِ طَالِبِينَ
لَا تَقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ عَنْ هَؤُلَاءِ مُسَلِّمِينَ

* * *

وَتَدَافِعُوا عَنْهُ — عَلَى جَهْلِ — بِحَقِّ أَوْ بِيَاطِلٍ
لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ عَنْ خَطِيئَةٍ وَإِنْ كَانُوا أَفَاضِلَ

* * *

الْيَوْمَ قَامَتْ نَهْضَةٌ فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ حَيَّةٌ
وَسَرَتْ إِلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ — فِ حَيَاتِهِ الْأُولَى الْقَوِيَّةِ

* * *

شَبَّتْ بِهَا الْحَرْبُ الضَّرُوءُ — سَ عَلَى الطَّوَارِئِ وَالْبِدْعِ
مِمَّا بِهِ الْأَهْوَاءُ قَدْ مَا أَلْصَقَتْهُ وَالتَّيْبَعِ

* * *

فَلَقَدْ هَوَتْ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى — عَلَى الْخَضِيضِ الْأَوْهَرِ
وَقَضَتْ عَلَى أَوْطَانِهِمْ لِلْمُسْتَبَدِّ الْمُعْتَسِدِ

* * *

لا بدّ من هذا الرجوع إلى الكتاب الخالد
والى هدى المختار والـ سلف الحكيم الراشد

* * *

فعلّكموا أن تدخلوا هذا الغمار ولا تكفّوا
أنتم بنو الهادي فما في سيقكم للفضل بدع

* * *

كونوا مثال النبيل كـ نوا قادة للمسلمين
والدين كونوا في طليـ عة ناصريه المصلحين

* * *

واقضوا على الأوهام لا تجدن بينكم نصيرا
ومتى دعوتكم للصالح هديتم بشرا كثيرا

* * *

وتعلّموا أن السورى في شريعة الهادي سواء
ما الفضل إلا بالتقى والكسل من طين وماء

* * *

أما التقاليد القديمة فاطر كوهها أجمعها
أو لم تكن للفتنة السـ عمية فيكم مهيما ؟

* * *

عادت جرت قدما يطول بها القوي على الضعيف
العصر بمقتها ، وليس يقـ سرها الدين الخيف
(يرى ثلة منهم يتهامون)

فيهم تهامون ؟ وممّ تعجبون ؟

(ينظر بعضهم إلى بعض ويحيب أحدهم) :

القوم للذي قد قلت منكرون !

آخر : يقولون ترشدت !

همام : وهل بالرشد من قوم ؟

فهذا (قُطِبَ) الإرشاد (د) ربّ الفضل في القوم !

أحدهم : نحن نعى فحة النصب التي أبغضتنا آل بيت المصطفى !

جاهرتنا بالعدا في (جارة) وبوادي (حضرموت) في الجفا

همام : سؤتم ظننا ، وما زلتم لمن جاءكم بالنصح تبدون الجفا

إني من أعظم الناس لما كان من شغب (بجأوا) أسفا

وأراها سببة تجعلنا في عيون الناس بين السخفا

غير أنني لا أرى أعظم أسـ

وقفوا في وجه سئل لو تولدـ

فطغت أمواجه ، حتى لقد

حكّموا الأهواء ثم انطلقوا

ونسوا أن المبادي لا تـ

أنا لا أعرف (إرشادية) لا ولا (رابطة) أو جففا

إنما أعرف (إسلامية) تجمع الناس على عهد الصفا

تجعل الناس سواء لا ترى فيهم رؤسا ولا مستضعفا

أنا لا أعرف إلا أننا قد غوينا مذ هجرنا المصحفا

أنا لا أعرف إلا أننا نشر الجهل علينا السدفا

فغدا العُرفُ لدينا مُنكراً وغدا المنكرُ فينا عُرفاً

* * *

أنا لا أعرف إلا دعوة (لجمال الدين) شقت غُلُفا
تندب الناس إلى دين الهدى مثلما كان بعهد المصطفى
لا خرافات وأوهام ، ولا يدعُ تحسب فيه زلفاً
تفتح العلم على أبوابه في وجوه المسلمين الخنفا
ليكونوا سادة الدنيا — كما وعد الله — عليها خلفاً
ولقد آيها تلميذه « عبده » فيما دعا أو ألفا
بث روح الحق في أتباعه فغدوا فينا غيوثاً وكُفُفا
فلنبث الروح فينا هذه في إحياء ووفاء ووفى
لنحوز الفوز في الأخرى وفي هذه الدنيا المقام الأشرفا

* * *

يا بني الأحقاف توبوا للهدي

واتبعوا (الذكر) ولوذوا (بالسنن)

وانشروا العرفان في قطر كسم

واستغفروه وأحيوا كل فن

وتناسوا ما مضى وامتزجوا

وارحضوا الأحقاد عنكم والإحسن

* * *

بينكم جنس ، ودين جامع

ولسان وعهود ووطن

(ستار)

الفصل الثاني

المشهد الأول

« همام في مكتبه الذي يستقبل أصدقاءه فيه يتصفح أوراقا له ورمانا . يستأذن عليه « محمد » .. يتعاقبان ثم يجلسان على كرسيين متقابلين تفصل بينهما المنضدة .

همام : أخي ! أين تغيبت ؟ فعهدي بك من شهر
جرت في الربيع أحداثٌ وظني بك لم تدبر
محمد : ذهبتُ إلى زيارة شيخ أهل الكشف والسرّ
(وهنا يتسم ابتسام السخرية)

عمود الدين في « قيّدو ن » شيخ السر والبحر
ألم أخبرك إذ يمتُّ ما يمتُّ من أمري ؟
همام : (متنفسا الصعداء)

بلبي إنني ذكرتُ الآ ن ا فاقبل يا أخي عذري
بلانسي الله بالحبّ ا فعقلي ذاهل دهري
نهاري كله فكرا ا وليلي مدمع يجري ا
ولا ينفعني علمي ولا رأيي ولا فكري
ولا المشهور من فضلي ولا الممتع من شعري ا
محمد : أخي ا لا تنس أن تصبر فالنّجح مع الصّبر
وخلّ اليأس ولتقرأ معي : إن مع العسر

لما تألم في جسمي وما تغتم في صدري !
 وما يحمل به ظهرك محمول على ظهري !
 ألا تخبرني ماذا جرى طيلة ذا الشهر ؟
 : جرى .. ماذا جرى ؟ لا همام
 « ولي الله » ذو الحُبِّو
 وذو المساوِك في العِمة قـ
 وربُّ السَّبْحَةِ الغار
 بها يُذكرُ في الناس
 ومن يمشي بعكازين
 يطاطي رأسه للأر
 تدنِّي من (شهاب) سا
 أتاه غاطبًا (حُسْنًا)
 ولم يألُ اجتهدًا عنـ
 رماني بصنوف الزيغ
 ولا تجهل طرقَ القسو
 : خفف عليك ! فإن أمرَك هين محمد
 أفقدَ عدوك روحه بسلاحه
 (في شيء من العتب والموجدة) همام
 أتريدنا نرشو الخبيث كما رشا
 إن لم نكف عن الاتِّسام نفوسنا
 بكرًا ؟ وأين مقامه ومقامي ؟
 فسلام ننقم ضلَّة الأقسام

محمد

: لا يُخَطِر ظَنُّكَ ما أَرَدْتُ ، فَلَسِمَ أَرَدُ

إِنَّا نَلْسُوذُ بِسَبِّهِةٍ وَمَلَامِ

إِنَّا لَنَرِبْأُ أَنْ نَقَارِفَ خَلَّةَ تَزْرِي عَمِيدُنَا الْقَوِيمِ السَّامِي !

لَكِنَّ أَرَدْتُ سَقُوطَ هَذَا الْمَرْتَشِي

بِطَرِيقَةٍ تَكْسُوهُ ثُوبَ الذَّمِّ

وَنَرِي غَازِيَهُ الْأَنَامَ لِيَقْلِعُوا عَنْ هَذِهِ الْأَوْتَانِ وَالْأَصْنَامِ !

مَنْ كُلِّ قَاسِي الْقَلْبِ يَنْصَبُ دِينَهُ لِقَضَاءِ لَذَاتٍ وَجَمْعِ حَطَامِ

سَاطِئِلِ مَحْتَتِهِ ، وَأَبْطَلَ سَحَرَهُ قَسْرًا وَالصِّقُّ أَنْفَهُ بِرَغَامِ

وَسَيُصَيِّرُنَّ ذُورَ الْعَقِيدَةِ فِيهِ فِي

بِرَدِّيهِ أَيُّ مَدَجُّجِلٍ أَثَامِ !

همام

: (وَهُوَ يَيْثُمُ ابْتِسَامَةِ الْإِعْجَابِ وَالرَّضَى)

بُورَكْتُ يَا خَيْرَ الصَّخَابِ ! وَبُورَكْتُ

رُوحَ الشَّجَاعَةِ فِيكَ وَالْإِقْدَامِ

لِيَتَّعِمَ حَفُونِي مَا سَهَرْتُ فَإِنْ أُنِمَ

وَسَهَرْتُ أَنْتَ فَلَسْتُ فِي النَّوَامِ

محمد هَاتِ عَنْ قَيْدِ نَ مَاذَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ ؟

وَمَا شَاهَدْتَ فِي الْمَوْسِمِ مَنْ عُرِفَ وَمَنْ نُكِرَ ؟

وَهَلْ وَفَّقْتَ فِي الْإِنْكَارِ وَالتَّذْكَيرِ وَالزَّجَرِ ؟

تَوَافَى النَّاسُ أَفْوَاجًا إِلَى قَيْدِ كَالْذَّرِّ

فَمَنْ سَاعِيَةِ تَمْشِي وَمَنْ رَاكِبِيَةِ الْحُمُرِ

هَنَّاكَ السَّاحَةَ الْكَبِيرِ تَحَاكِي سَاحَةِ الْحَشْرِ

بِهَا مَا شَنَّتْ مِنْ طُورِ وَمَنْ لَغَوِ وَمَنْ هَنُرِ

محمد

وقد غصَّتْ بأشـتات من الآسـاد والعُـفر !
تبارت ثَمَّ في الحِلْمِ سية والأبراد والخمـر
وقد يقتلن بالمعصم ! وبالنظر السـحري !!
من الظُّهر إلى العـصر إلى مُتَبَّـج الفجـر !
هناك الخسر في الدين وحسب الناس من يخسر
ولا يربح في تلك الـ سـزيارات سوى النـحر
وأما سـادن القـبـة فهو الرابـح المشـري !
تساق لداره الأكـيـا س من حـبٍ ومـن عـمر
(للصندوق) ما يـا ع من ورقٍ ومـن تـبر !

* * *

ولما حضر الوقت تداعوا كضحى النـفر
وأثـموا نحو قبر الشـيـخ بالطلـ وبـالزمر
بصـيـحـحـون : وليّ الله جنـسـاك إلى القـسـر !
أتيناك لكي تـحـمـل عـنـا ثـقـل السـوز
وكـي تـسـبـل يـا قـطـبـي عـلينا ضـيـافـي السـير
وفي الأنفـس حاجـات بها يـا سـيـدى تـدري !
أتيناك لكي تـقـضـى ونحـطـى مـنك بالسـير

* * *

ولما وصلوا القـبـة داروا دَوْرَة الحـمـر
وأهـوت راحُ ذاك الجـمـر مع في التابـوت بالنـقر

فلا تسمع إلا ما
 هناك الناس غير الفسـ
 فهذا حاضع شباك
 وهذا ينشج النشجة
 وهذا يرعد الرعد
 وهذا ينذر النذر
 وهذا صائح : يا سيـ
 على عجزى وإهمالي
 وقد جُللت القبة
 وبَيضات من البـ
 فمن حُمر إلى صُفر
 ومصباح كبير الضوء
 ولتأبوت معنى من
 قد اسودَّ من التقييل
 عليه ضيَّبُ الفيضـ
 فتبدو كثغور الزئـ
 فثمَّ الضم والتميـ
 تلاقى فيه دَمْعَا الشـ

يصيب السمع بالوقر
 اس في الإعجاب والذكر !
 وهذا دمعته يجسري
 تستعصي على الصدر !
 في أعضائه تسري !
 وهذا جاء بالنذر
 سدي عطفًا على فقري
 على ضعفي على ضري
 بالزينة والسـ
 ر علقن على الجـ
 إلى زرق إلى خضـ
 مثل الكوكب السـ
 جلال العتق والقلـ^(١)
 في شتلف العـ
 في أسود كالـ
 سج إذ تضحك من أمر !
 بل بالشعر وبالنـ
 ب والجارية البـ

* * *

ولما سكن الجمعُ سكونَ الموج في البحر
تراءى الناس شيخاً ذا شقاشقَ فيهم هُنَّير
ينادي : أيها الناس اهتدوا سناؤا بالفوز والنصر
بهذي النعمة العظمى بنيل الفضل والفخر
قصدم باب ذى عطفي وذى جود وذى بر
وإنَّ الشيخَ لا يتركُ من زار بلا أحر
عليكم بخلوص القصص سد في السر وفي الجهر
وبالتسليم للأقطاب ب والخدمة والصبر
وإياكم وسوء الظن من بالصوفية الغر
فأهلُ الله هم . جازوا مناطَ النهي والأمر
ملوكُ لهم التصري ف في البر وفي البحر



سمعنا أنَّ في (حدري) تباشيرَ من الكُفَر^(١)
تصديّ ناشئ غير بلاه الله من غير
يُربى الشُّعْر كالْفُسَّا ق إذ يُعقَوْنَ بالشُّعْر
تلقى من فنون العِلْم سم ما زاد على القُدر
فأغواه وأرداه وجاء النفع بالضر
ومن شيقوته استحلّى حميمَ الأدب المسزري
جريء القلب لا يعي أ بالتهديد والزجر

(١) تطلق حدري على ما سفل من حضرموت كشبام وسيورن وتريم . وعلوي على ما علا منها كدرعن وعمد ووادي العين .

يسبىء الظن بالقطبا يسبىء السبىء فى الجاهل
له أتباع سوء كل يسبىء السبىء فى الجاهل
له أتباع سوء كل يسبىء السبىء فى الجاهل

* * *

هنا قمت وقد ضاق بسى الواسع من صدري
وما باليت بالفوضى فى عسكرها الجمر
وقلت اسكت عجوز السو يا داعية النكر
عسى الله والإصلا ح اهل تهذي ولا تدري ؟
أدعوا الناس للنكر وتهجو داعي الخير
فصاح الشيخ : غولوه فلما من شيعة الغير
فلولا أن تسالت من الجمهور بالفر
لكانوا أعدوني مه حتى بالضرب والتفر (١)

همام : (يضحك ويقوم إلى محمد ويضرب على كتفيه)

حماك الله من سوء وقساك الله من شر
لقد قمت مقاماً لا يوازي عظمته شكري
ولا بد لى الإصلا ح من عزم ومن صبر

* * *

(١) الدفر : الدفع فى الصدر .

المشهد الثاني

« في دار (حسن) في الطابق الثاني . غرفة كبيرة مفروشة
بمختلف السجاجيد الثمينة ، مكسوة جوانبها التي تلي الجدار
بالمفارش الجميلة عليها الوسائد والمياثر الناعمة .

علوية :	(داخله الغرفة)
خديجة :	أيها الربيع سلامٌ عبيكم ! (ناهضة لاستقبالها)
علوية :	وعليكم ألف ألف سلام ! مرحباً أهلاً بشخص كريم (تتصافحان فتجلسان)
علوية :	يا صباح الخير !
خديجة :	هذا صباحٌ : بل قد طُلِقَ نغره في ابتسام
علوية :	كيف حال الربيع ؟
خديجة :	في خير عيش : نسأل الرحمن حُسْن الدوام
علوية :	أين حُسْنُ ؟ إن شوقي لحسن : مثل ما اشتاق إلى الماء طامي !
خديجة :	هي في غرفتها :
علوية :	إذنني : أن أراها ..
خديجة :	هي ذات احتشام :

تستحي من زائرتها
(تقبل الخادم بعدة الشاي)

- علوية : وماذا ؟
 خديجة : قصدنا الأنس وطيبُ النِّدام
 علوية : قَسَمًا أَشْرَبُ إِلَّا إِذَا مَا نَشَرْتُ حُسْنُ بَسَاطَةِ الْمَدَام
 خديجة : (مبتسمة)
 أُنْجِدِينَ أَحْيَالًا كَهَذَا ؟
 علوية : إِنَّمَا أُمْلَى أَحْيَالِي هِيَامِي

(تقوم خديجة ثم تقبل وتقبل وراءها حنين تمشي على استحياء)

- علوية : (قائمة)
 مرحبًا باللسان يهستزُّ لينا ا مرحبًا بالبدر بدر التمام ا
 (تدنو فتقبل حسنا على خدها فتقبلها حسن على رأسها
 وتجلس إلى عدة الشاي)
 يؤه ا ما أجملها من فتاة يؤه ا ما أصلحها لهُمام ا
 صلواتُ الله تغمر طه وحماتها الله من عين رام
 (يخفق قلب حسن ويتصاعد الدم إلى وجنتيها فيتوردان
 وتطرق حياء وتتشاغل بإصلاح الشاي)

- خديجة : (في تجاهل واستغراب)
 مَنْ هُمَام ؟

- علوية : تسأليني عنه ؟ ليس يخفى البدر بين الأنام ا
 ذلك المصلح زين شـ سباب القطر ذو الهممة والإعتزام
 ذلك الحالي بكل جميل ذلك العاقل من كل ذام
 ذلك المشهور في كل قطر بمزاياه الكثر العظام

والذي سارت بحسن قوافيه - به إلى مصر وأقصى الشام
(تلاحظ ارتياب خديجة فيما إذا كانت هي رسولاً من همام وسفيراً له)

لا تظنني رسول همام أنا لا أعرف شخص همام
إثنا أسف أن كرمنا مثله يُمْنى يقوم لهما
هو يسقيهم كوس حياة وهم يسقونه كأس سام^(١)
خديجة : ما تقولين ؟ أليس همام حاد عن نور الهدى للظلام ؟
ودعا الناس إلى أن يقولوا فيه ما قد زوروا من كلام
علوية : ما استطاعوا أن يزُنُوا إلا بالذي يُعليه أسمى مقام
خديجة : إن قلبي ليهود هماماً ورضى بنى أقصى مرامي !
(تلاحظ علوية من كلام خديجة أنها مقتنعة بحب حسن لهما)

فتقاطع حديثها وتلفت إلى حسن قائلة :
أتحبين هماماً :

حسن : (في تلثم وتحجل)

وَمَنْ لَا يَمُ .. شق الحر الحبيب العصامي
فرع الناس بعلم وخلق وجهاد في الهدى واعتزام !
خديجة (عائدة لتمة حديثها)

غير أنني لا أطيق كلام النـ اس في زوج ابنتي بالملام
فلزوج البنت عندي محل في السويداء من القلب نام
خبريني كيف أذفع عنه حين يُرمى بالفقرى وأحسامي
ليته نخلى زمام الورى فيهم ، فما كان يرب الزمام
فيهم بهتهم بأمر سواه وهو لما يغلد سن الغلام ؟

لو تملسى بليالي صباه
لو تخلى عن شؤون اليراي
وتعامسى عنهم !

علوية : هو يخشى
قالذي يكم علم الهدى يُلـ
إنما ضرّ اليراي تعامسى
يصرون النور وهو مضىء
ويرون الناس في ليل جهل
يستاءمون على كل قسـ
ويرون المنكرات عظاما
ويقولون : لنا بالالى قد
أنرى نعزو إليهم ضلالاً
مثل هذا عذرهم وهو عذر

غضب الله لهذا التعامسى
حَمُّ من نار لظى بلعام
هو لاء العلماء الضخام
فيلوذون بسر الظلام !
يتدجى أفعسه بالقتام
ومصاب الدين في ذا السرامى
فتراهم عندها كالعظام
غيروا من قبل حسن اتمام
وهى أمثلة الاعتصام ؟
سوف لا يقبل يوم القيام !

* * *

فخليق بفتى كهـ
إذ يرى موطنه في الخطاط
دب فيها داء جهل وخلـ
فانرى ينعشهم من حمول

أن نرى غيرته في اضطرام
ويرى أمته في انقسام
وعداء قاتل وخصـ
ومضى يوقظهم من منام !

خديجة : فهبى قد رضيت ، فمن لي
وهو لا ينفسى ويثبت أمراً

بشهاب وهو صعب الزمام ؟
بسوى رأي (الولي) الإمام !

جاءه من قبل عشرين يوماً
ورجا تزويج حُسن (لبكر)
قال : إن المصطفى يتأذى
وأولو البرزخ سوف يغيرو
: (في غضب)

علوية

ذلك الدجال لا ريب فيه
قد رشاه بالريالات بكسر
أفئاد المصطفى غير راض
وأولو البرزخ كيف يغيرو
معشر ماتوا وصاروا إلى النيب
تُرَّهات جعلوها من الديب
أولي الله عيسد الخطام ؟؟
والرشي للقطب غير حرام
عن غيور عن هداه يحامي ؟؟
ن على حي وهم في الرجاء ؟؟
ران ، أو صاروا لدار المقام
ن ، تعالى ديننا المتسامي !

* * *

المشهد الثالث

(علوية تزور زهراء في بيتها)

علوية : صديقتي ! إنني لمشتاقة إليك
زهراء : واشوقي للقياساك !

(تتعالقان بلهف)

أهلاً بمأتاك ، وشكراً لذكرك
عندى بشرى لكم
علوية :
زهراء : بشسرى
أراك فقد جرتك ذكراك
عللى المنى في طي بشراك

- علوية : أين همام ؟
 زهراء : أهى بشرى له ؟ هاتى أطال الله عيالك !
 علوية : يكي لها الباكي ؟ ألا ويحه من الأسى يكي لها الباكي !
 زهراء : هاتى أيى : ما الذى جتتا ربح لذك الأسد الشاكي !
 علوية : خديجة لنت من قلبها لعل أن تفشأ عنه الأسى
 زهراء : هل جرى ذاك ؟ على همام
 علوية : كيف وأين ومتى ؟
 علوية : زُرْتُهَا أمس وهالك ما جرى هالك

« نقص عليها حديث أمس كله مما جرى بينها وبين خديجة وحسن .

تستأذن زهراء لتبشر هماما . تنطلق إلى غرفته وتعود بعد حين إلى علوية . »

- زهراء : بشرته فأنهملت عينه من فرح ما كان لولاك
 علوية : لم آت ما أشكر من أجله ! وقام من مضجعه ناهضاً يشكر حق الشكر مسعاك
 زهراء : إن هماماً قانع في الهوى
 علوية : يمثل ذا اللطف عرفسك
 زهراء : يأخذ اللفظة فالأله
 علوية : وقد يرى الحليم فيعزلته
 زهراء : بكنبة من فم أفاك !
 علوية : من قصة يوردها حاك !
 زهراء : نور رجاء وسط أحلاك

فكيف لا ييكى سروراً وقد جاعته بشرى مثل بشراك ؟
أما شهابٌ فلسه خجلته محمد ذو الخلق الزاكى
لازتما عون أخى دائماً والله يرعاه ويرعاك !

* * *

المشهد الرابع

« سالم في بيت السيد (ولى الله) لتحقيق المهمة التي كلفه
محمد إياها . يدخل على ولى الله في غرفة فخمة مزودة بكل ما
يستطاع الحصول عليه من الفرش الثمينة والمناخ النفيس . يجده
مستنداً إلى جبهة من الوسائد ماذا رجله لرجل عنده يكبسهما .»

سالم	: سيدي يا صاحب السر العظيم	يا ولى الله يا غوث العليم
	متع الله بحياك السورى	إنما وجهك مصباح العليم
الولى	: مرحباً بالخادم السر الذى	خصه الرحمن بالقلب السليم
	حسن الظن بأهل السر يا	خادمي تحفظ بجنات النعيم
	آه - لو يعرفني هذا السورى	لأتوني من قصبات النجوم
	أنا جيلاني هذا العصر ، قد	وطعت رجلاي أعناق التجوم
	خطبت بحرًا وقف الخلق على	ساحليه في ذهول ووجوم -
	من رأني أو رأى من رآني	فهو محظور على نار الجحيم
	أهل هذا القطر ما دمت به	في رخصاء وهناء مستديم
	يولد الطفل على عيني ، كما	يرحل الراحل أو يغني المقيم
	أسعد الناس بنا أحسنهم	نيسة فينا فذاك المستقيم

وأشدُّ الناس خسرًا من ينسأ	سأء ظنًا فهو شيطان رجيم !
ذاك في نار لظى مهما يكن	كامل التقوى يصلي ويصوم !
ولقد قام أخيرًا ناشي	صرفته عن رضى الله العلوم
رام إسقاط مقام الأوليا	جاهدًا ينفث في الناس السموم
زاعمًا أن السورى في ضلّ	وهو يحشي وحده النهج القويم
هكذا من كان لا شيخ له	من أولى الباطن في الغي يهيم !
: سيدي علّ همامًا قصدكم	ذلك المفتون بالرأي السقيم
: نحن لم نعن سواه	
: أنسأ لي	في علاج الناس أسلوب حكيم
: زعمًا استطعتم به إن شئتم	أن تردوه عن الغيّ الذميم
: أنست لا تسطيع أن ترجعه	للهدى أو تحيي العظم الرميم
: إن ههنا لحال !	
: أنسني	بالذي يُغري همامًا لعليم !
: أنسني أعرف مشوى ضعفه	فسأرميه ببلي في الصميم
: أنه يهوى فتاة لشها	به هوى قيس ليلي في القديم
: هو في غير الهوى ضرغامه	وهو في الحب ضعيف كالظليم
: وشهاب نحاتم في كفكم	ليس يعصى لكم الأمر الكريم
: لو سعيتم لمام عنده	فضمننا لكم أن يستقيم !
: (في غضب وهياج)	
: ليت شعري كيف أقضي حاجة	لفتى نغص من عيشي النعيم ؟
: كبه الله على منحصره !	وسقاه الله في النار الحميم !
: كم عنائي أمره من مارد !	ولكم عذب قلبي بالهموم !

سالم

الولي

سالم

الولي

سالم

الولي

والذي نفسي في قبضته : سالم
 نحن لولا أن في غضبتنا : الولي
 لضربنا ضربة تنسفه : سالم
 وأصابت يته نائبة : الولي
 : إنما نقضي على أنفاسه : سالم
 إن هذا هو الرأي الذي : سالم
 أتراه يرعوي عن غيره : الولي
 : ذاك ما لا شك فيه ، وأنا : سالم
 : نحادمي ! رأيك هذا صائب : الولي
 غير أن الأمر قد فات ولم
 قد نخطبناها (لبكر) قبله
 فرميناه (بصندوق القسرى)
 (يسكت قليلاً ثم يقول)
 كم همائم دافع من ماله ؟

: سالم
 : ذا إذا ألف رسال هاتيه : الولي
 إن بكراً ذو غنى ، لكنه
 سيري عاقبة البخل غداً
 : ضعف بكر أيها المولي الكريم
 قم ! وثق أنا سنقضي ما يروم
 يابس الكف شحيح ولثيم !
 عندما يُخطئه الوجه الوسيم !

(يستأذن سالم بالانصراف لينصرف . يعود إلى بيت ولي الله
 من الغد)

سالم : قد فعلنا كل شيء وظفرتنا بهمام
وارتضى ما قد شسرطنا ه عليه بالتزام
وهو مسرور بهنا شاكر سعي الإمام
تشارك دعوتيه النكس راء من أجل الغرام

الولي آخذ أن ليس يؤذيكم بفعل أو كلام

سالم : أين ما أعطاك ؟ هل أقب — بلت بالمال التزام ؟!

الولي : هاك تحويلاً إلى « جا » وَا « بألف بالتمام
(يمد يده للتسلم)

هاتيه ليس لجيبي بل لصندوق المقام !!

* * *

المشهد الخامس

بین ولی اللہ وشہاب :

الولي : جاعني الليلة آت في المنام صائحا يهتف حسنُ لمام

إِنْ بَكْرًا فَسَدَتْ نَبْتُهُ فِي تَوَلِيهَا بِحَسْبِ وَاحْتِرَامِ

شہاب : انہ یا سیدی مبتدع

الولي : إنه قد تاب عن هذا الإثم

شہاب : (فی استغراب)

وہمسی تاب؟

المولى : أتسأني نادمُنا أمس مما بثَّ في الناس السمَّام

إِذْ دَعَوْنَا اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُ سَمِحَ اللَّهِ بِإِذْرَاكَ الْمَرَامِ

شہاب : (في خضوع وتسليم)

لیکن ما شتمتہ یا سیدی فخر نرضی رأی مولانا الإمام

المشهد السادس

بين زهراء وخديجة :

زهراء	: صديقتي ! إن قلبي	مما فعلت سم لموجع
	أشتاقكم غير أنني	من وصلكم أتمتع
	فإن جرحي منكم	فيه الأسا ^(١) ليس ينفع
	ولو أطعنت صوابي	ما جتكم أتسكع
خديجة	: زهراء : لا بأس بالعنة	ب فهو للودّ أجمع
	ما ساء قلبك مني ؟	قولي لعلي أرجع !
	فرمما خيب واش	فينا إلى الدحس بهرع ^(٢)
	وذا زمان لثيهم	فيه المودات تقطع
زهراء	: إن همأنا شقيقي	له بقلبي موضع
	فنيلكم منه نيل	مني بغر تورع
خديجة	: زهراء ! أسرفت في تهـ	سمي ، فبعض التسرع
	فما ذكرت همأنا	إلا عسا عنه يسمع
	من الخروج على النـ	ساس في تقاليد تبع
	قصصت ذاك لعصماء	مسن بنات المشفع
	لأنهنا لهمام	رأيتهما تشفع
	قامت تدافع عنه	بحجج ليس تلغس

(١) الأسا : مصدر أساه يأسوه داواه أي لا تنفع المداواة فيه .

(٢) الدحس : إفساد المودة بين الصديقين .

زهراء
 إِنْ قَلْبِي لِيَهْوَى
 إِذَنْ فَمَاذَا التَّسَاءَلِي
 إِلَّا رَحْمَتِي فَتَنِي مَسْنِ
 تَكَادَ أَحْشَاؤُهُ مِنْ
 : إِنْ الْإِبَاءِ مِنْ شَهَابٍ
 لِأَنْ رَأَى شَهَابٍ
 : (فِي غَضَبٍ)
 زهراء

خديجة
 الْقَطْبُ لِيَصْ عَن
 يَشْرِي وَيَتَنَاقِ « حُسْنُ
 كَانَهَا سَلْعَةً فِي
 أَلَمْ يَبْعَهَا « لِبَكْرٍ » ذَا
 كَسَانِ سَوْدٍ الدِّجَاجِي
 ثُمَّ أَرْجَحِي مِنْ هَمَامٍ
 وَرَمَعَا بَاعَهَا فِي
 وَالنَّاسِ ظَنُّوا أَبَاكُمْ
 إِنْ السَّوْلِيَّ عَنِ السَّوْءِ
 أَبُوكُمْ لَيْسَ يَدْرِي
 وَلَوْ دَرَى لَتَسَبَّرَا
 : (وَهِيَ تَنَالِمُ)
 خديجة

أَقْدَ تَحَدَّثَ عَنْهَا
 يَا وَيْلَتَاهَا ! أَنْتَ تَسِي
 إِنَّا أَنْاسٌ عَلَى عِزِّ
 بِذَاكَ فِي كُلِّ مَجْمَعٍ
 مِنْ حَيْثُ لَا تَتَوَقَّعُ ؟
 نَا نَحْنَامِي وَنَدْفَعُ

أعراضنا هي أغلى ما في الحياة وأمنع
لو كان يدري شهابٌ وسوف يدري عسى عن
(تنهد وتستعير)

يا ليت (سعدًا) لدينا في أمرنا اليوم يقطع
لما ألانا اجتهدًا في أخذ ما هو أنفع
لكنه غاب عنا تسع سنين وأربع
في أرض (جاوا) التي نأكل الرجال وتبلى
راح ليجمع مالا لنا به نتمتع
يا بئس ما جمعت كف ما هو يجمع !!
ماذا يفيد الغني من يخسر أهلاً ومربع
تزوجت « مزفة » عُرّ سها به لم يمتنع
تسأل : أين أبوها ؟ فلا تجيب ، وتدمع
وهذه أختها أو شـ سكت ترف وتخلع
فواشـ لقاء حياة فيها الفواد موزع

ولم يجرّد إلا وليّ الله خير مسعد
 فلم يدع رأي صديقه الفتى « محمد »
 ولم يكن ذاك السدي يهدي السورى بمهد
 مدّ إلى الدرهم جيه مدّ ذاك في صيد ١١
 وكان ما كان فلا تغضب ولا تفنّد
 أنت عليك الغرم والغرم لسرب المدد ١
 هذا جزا تارك رأي به لسراي أحد ١١

* * *

المشهد الثامن

(بين شهاب وبكر) :

بكر : يا عم ما الذي جرى ؟ ردت مني اليدا
 ألسنت قد قلتني فما عدا عما بدا ؟
 شهاب : (يتجلد ويخفي غضبه)

بكر : (في وقاحة) حظك يا بكر السدي حلاً عنك البوردا
 فاطلب سواها تلس : قهن كالرمال عدا
 بكر : (في وقاحة)

شهاب : لمن دفعها ؟ وأين أموال التي أنفقت فيها بيدا ؟

بكر : لـ : لاننا السولي المفتدى ١
 شهاب : (في سخرية)

إذن فخذها منه لا تطلب سواه أحدا
بكر : (معرضًا)

أعطيتُ له لأنه كان لكم معتمدا
شهاب : (في غضب)

خسئت يا نذل فقم وخلّ عنك اللدا !
أليس فينا حاكم ؟ يحكم هذي البلدا ؟
فاشك إليه من على مالك - إن شئت - اعنى !
بكر : (في تضعضع وخجل)

إذن ... فمالي كلّه
.. أكله .. وازدردا ..
إذن ... فلم يعطك من مالي ... شيئا أبدا .. !
أما اكتفى بما ارتشسا ه نصف ألف عدا ؟
يا ويلنا ! واحسرتا ! واحزننا ! وأكمدنا !
لأرفعن أمسه لى الأمير « أجعدا »
أفضحه عند السورى .. !

شهاب : (وقد سرى عنه)

الآن أبصرت الهدى !
بكر : (يتهد)

قلمض مالي لظهو ر سبباته فيدي !

المشهد التاسع

(همام في مجلس الأمير « أجد » وقد دعاه إليه) :

الأمير : أتدري يا همام لأيّ أمر دعوتك لي ؟
 همام : لخسر يا أميري ؟
 الأمير : ألم تعلم بما اجترمته كفا ولي الله من إثم كبير ؟
 همام : بلى هذا حديث قد قشا في حمانا في الكبير وفي الصغير
 الأمير : فماذا أنت يا سندي مشير به في مثل ذا الأمر الخطير ؟
 همام : أرى أن تحبسوا الجانسي وأن لا

تمسّوه بسوء أو نكسر
 فمطلق حبسه كاف — أراه — لردع سواه من أهل الشرور
 الأمير : ولكن والذي يخشى علينا — إذا عاقبته — سوء المصير
 يُحاذر دعوة منه علينا فتلحقنا بأصحاب القبور
 همام : أمير ما عهدتك غير حرّ طليق الفكر متقد الشعور
 وحسبك ما قرأت عليك طردًا

لأوهام توسوس في الصُّدور
 أعرفُ إثمهُ وتخاف منه ؟

أتقبّل دعوة العاصي الكفور ؟؟
 كذاك الوهم تُشره نفوس فتشهد ما تُخجل من أمور
 وقل لأبيك ذا بكرٍ شكاه وهتك ما عليه من ستور
 فلو كان الولي لديه حولٌ لكان رماه بالسهم المبير

الأمير : فإن تحبسه جئت به دليلاً
فليس أذاه مقصوداً ولكن
لقد قررت هذا الرأي قبلاً
وإن الدجل أبغض كل شيء
يسجل عجز أقطاب الغرور
ليُطبل سحره بيد الأمير
فبورك في ذكائك من مشير
على الدنيا يضيق به ضميري

* * *

المشهد العاشر

(يأتي لزيارة محمد فيستقبله محمد في غاية الحفاوة)

شهاب : محمد أنت الجريء الفؤاد
فلو كان من ربه مرسلاً
وتعلم ما كنت أودّي هُما
أتابع في أمره مُفسداً
وإني على ما مضى نادم
: ألا مرحباً بالسَّليم الفؤاد
بصهر هُمام الوديع الصّفي
وليس يُطاطى للمُعسف^(٢)
همام يُحبّك مهما فعلت
يراك أباه فمهما قسا
وأنت صديق هُمام الوفي
لكنك حواريه المقتضي
ما به غير هادٍ ولا منصف
يبع ويتاع بالمصحف
وأنت بإصلاح أمري حفي^(١)
وبالظّاهر السيرة الأشرف
بعتم حبيبة خير الرجال بمن لا
يمن لا يُقرّ على المنكرات
همام يُحبّك مهما فعلت
يراك أباه فمهما قسا

(٢) هو الظالم الشديد العسف .

(١) عارف وعبير .

(يتسم شهاب وتهلل أساري وجهه)

شهاب : فله ما كان أنقى هما
أضار سسه ثم يلقى ودوداً
محمد : بقدر نبالة أخلاقه
ثمادي به جبهها فهو لا
بيت يناجي نجوم السما
ويجلس في بيته للطعنا
فيذهله الحب عما لديه
واني لأخشى عليه — إذا
هنالك نخسر زين الشبا
ويسألك الله عن مهجة
شهاب : (وهو يبكي)

لكفر أعمال الخاطية
علي الخف على باليه
فيغفر زلاتي الماضية
وعرضت نفسي للهاوية
محسب خطيئاتي الخالصة
قصوري في الجنة العالمة
أكسلاً على الزلف الوامية
فعني غير أعمال الزاكية
غير النصوح من التوبة الماحية
همام فرمي بها ناحية
مخازي مدجلنا الغاوية
كفى يا محمد ! إني أتيت
فلو كان ذنب همام فحسب
أزوجه اليوم من حسنه
ولكنني قد عصيت الإله
لقد غرني وعدك الولي
وبشّرني أنه قد رأى
فلم أتزوّد لندار البقاء
فأيقنت ذا اليوم أن ليس ينس
وأن ليس محسب خطاياي
نصائح كان ينادي بها
فها قد بدت لجميع الأنام

محمد : سلامٌ عليك دموعك هـذي لتطهير أدرانها كافيه
فلا تبقيس ، إن رباً هـذاك ليغي بك الخير في الثانيه
« يريد شهاب النهوض فيمسكه محمد قائلاً »
وأمر همام ؟؟

شهاب : وماذا يريد هـمـ وماذا ليس لحسن سواء
هي اليوم بين يديه وما مناي من الدهر إلا رضا
ولكن حديث (الرشي^(١)) المس تنفيض شوش أفكار أم الفتاه
فما زال يلهج أهل الحمى بأن (الولي) همام رشاه
وأن شهاباً تسلم أموال فقال نوحز تزويج حسـ
فما كان للمال إشارتنا ولكن لعلم وفضل وجاه
فأوص صديقك أن يطمئن إلى الصبر حيناً ليلقي مناه

محمد : ألا ليت شعري ماذا يقو ل همام إذا رُعته بالخير ؟
أقدم باقة زهر له وأطوى له الصل بين الزهر
فلو رحت تنصحتها بالعلو ل عن رأيها ! عليها تأمر !
علام تبالي كلام الطغام وما ينطقون بغير الهنر ؟
وأعيان (سيوون) تدري الـ حقيق وبعد غد يظهر المستر
سيحبس هذا الولي الشقي وتفضح سوءاته والعرر

شهاب : لعلك تجهل أنّ النساء إذا قلن شيئاً فهُنَّ القدر
ولا يرعون عن السراي لو وضعت بأيمانهن القمر
فكم قد سعيت وكم قد نصحت ولكن كأنني نصحت الحجر

محمد : إذن لن يطيق همام المقام هنا ،

شهاب : ليرح نفسه بالسفر
إلى الشام أو مصر أو للمهاجـ ر (جاور) أو للبلاد الأخر
وبعد ثلاثين شهراً يعو د ، وسوف تمر كلمح البصر
هنالك تبلغ سن الزوج (حُسن) وتنضج نضج الثمر
وربما عاد (سعد) إلينا فيزهو به عرسنا إن حضر

(ستار)

الفصل الثالث

المشهد الأول

« بين همام وزهراء » .

زهراء

: (في جزع)

أهمامُ حَبَّرني بوَدِّكَ لي مالي أراك تنضَّد الكتبُ ؟
ماذا اعتزمتُ أأنت تاركنا للحادثات تسومنا الكربا ؟

همام

: (في حنو)

لا يا أختي ! أجلسي جرعا لا ينس قلب المؤمن الربا
سفري لطلول إقامتي سبب ولربَّ بعد أعقب القربا
(يتغير وجهه)

إنني أخافُ إذا مكنتُ هنا أن لا أطيعَ فأقضي النَّحبا !
(يخالط صوته البكاء)

أيسرُ قلبك أن أموت أسى في الربيع إذ تبكينني ندبا ؟
أو ما رأيتِ القوم قد قطعوا صوتَ الحياة وكان قد لي
حفلا بسمعتهم - كما زعموا - لكنهم لم يحفلوا الصبا
ليمت شهيدا من يشاء ولا يترحموا في عرضهم ثلجا
آه ! أهذا كلُّ ما أتمنى ؟ ولقد وهبتُ السروح والقلبا !

(يتذكر حسنا ويستحضرها كأنها مائلة أمامه تسمع ما قاله)

فيسبحي مما تكلم به في أهلها)

يا حسن ! معذرة فأهلك نا
حاولت عتبههم بتسوؤدو
ورضاك همي في الحياة ؛ فإن
وإذا غضبت غضبت في بصري
لهم الملام وما جنوا ذنبا
لكنني لم أحسن العتسا
ترضى رأيت عذابها عذبا !
فأرى الخليقة كلها غضبي !
(ينتبه من ذهوله إلى أنه بحضرة أخته الحنون)

زهراء خليني لأرحل عن
فلقد لقيت به دواهي له
هيهات هيهات السلو ! ويا
أفكلما سافر اللقاء أتى
أو كلمنا انتسم الربيع لنا
هذي الديار فأسلو الحبسا
رُعن الجبال تركنها ترسا
ليت السلو يُباع أو يُحبى !
أتِ فسدل دونه الحجبسا !
جرت الدبور وهبت النكبا ؟
(آسفة على أن هيجت أخاها مشفقة عليه)

زهراء

عفوا همام فليس قصص
لكن شجاني أن تفسا
إن البلاد لسوف تفـ
نجم يفيض هداية
تبا لدهر دأبه
أيصد مثلك عن مطا
أهمام إن كنت اعترمت
إذهب وعذ عما قرب
سنيكون ربك حافظسا
ولسوف تترك ما تؤم
ثقني بحسن أن تعيد
لدي أن أهيجك يا ابن أمي !
رقنا وتركب ظهر يـ
قد فيك نجما أي نجم
وسنائه من خلق وعـم
يرمي أفاضله فيصمى
لبه ويمتع كل فـدم ؟
على الرحيل فحير عزم
ب بين عافية وغـم
لك في الفلاة وفي الخضم
ل ما ظلمت إليه ترمي
ك خففت حزني وهمي

همام

: (في حزن وأسف)

لكنَّ حُسنًا لم تشأْ تنوير عظمي الملهَم
كم قد كُتبتْ لها الرسا نل بين منشور ونظم
فتصدَّ عنها لا يجيب كأنها لا تعرف اسمي !!
وطلبتْ منديلًا لها ليكون في الظلمات نجمي
ويكون أنسي في البعا د يكفُّ من حزني وغمي
أوي إليسه إذا نزا قلبي بضم أو بثم !
ولقد أتاني رُدُّها لكن تعثر فيه فهمي
وإليكسه فاتليسه ثمَّ اقضي على حُسن بحكم
(يناديها رسالته إلى حسن وعلى ظهرها الرد منها)

الرسالة :

حيية قلبي علىي بتوهِل
أَقْضُ زَمَانِي فِي رَجَاءٍ وَتَأْمِيلٍ
بعثتُ إليك الكتب تَرَى ، فلم أفر
ببعض جوابك منك يا غاية السؤل
كأنني لم أحمِل هَوَاكَ ، ولم يكن
لِقَاؤُكَ قصدي في الحياة ومأمولي !!
وهذي النوى قد أوْشكت أن تميل بي
إلى عالم من رقعة الأرض مجهول
أَقْضِي بِهِ دَهْرًا قَضَيْتَهُمْ بِهِ عَلَى
حُشاشة صَبَّ عَائِسِر الجُدِّ مَحْدُول

فجسودي بما أملت منك وأجملني
وداعاً لملتون بخيلك متبول
وإني لراضٍ منك يا حُسنُ باللفا
بقطعة ثوب أو بشقة منديل ،
لعلي أسطيع أتراداً من الجوى
بضمّي إياه لصصري وتقيلي ؟
همام

الرد

جوايك عندي ما تظن ، فلا ترم
بكتبك إحراجي فإنك ذو علم
وإني فتاة ليس أمري في يدي
فإن شئت فاطلب ما تؤمل من أمي
حُسن

زهراء : (تلقت إلى همام والكتاب لا يزال في يدها)

همام أما جوابُ حُسنِ	فإنه أبلغُ الجوابِ
دلّ على الحبِّ والتفاني	فيك إلى عفة الجنبِ
وإنها إن تحبَّ يوماً	ففي حمى الصُّون والحجابِ
إن كتاباً يسألك منها	رسولُ أمالك العذابِ
ما تبتغي أنت فوق هذا	يأتيك من غادة كعاب ؟
لولا هوَى صادقٌ لديها	لم تر منها نصف كتابِ
وسوف آتيك بالذي رُمِ	تَه فلا تبقَ في أكتابِ

المشهد الثاني

(همام على حماره في طريقه إلى الساحل (المكلا) بعد
أن شيعه إخوانه وأصدقائه . أمامه دليله البدري عامر يقود
جملته يحمل زادهما)

همام	: رويدًا رويدًا حِمَار البعادر	فإنك تبعُدُ بي عن حبيبي !
	ولم يك خطوؤك فوق الترى	ولكنه فوق قلبي الكيب !
	أراك كنتعش بحسبي يسرُ	ولكن إلى غير قير قريب !!
	فيا بعد (سَيُورن) عني؟ ويا	ذُنُوكِ (جاوَه) من ذي السُّهوب !
	عليها السلام سلامُ السودا	ع، سلامُ البكاء ، سلامُ النحب
	سلام على حسن بين العذارى	سلام على قلبها في القلوب !
	سلام على دارها في الديار	سلام على دربها في الدروب ؟
	سلام على أهلها الطيبين	من كلِّ بَرٍّ كريم نجيب
	سلام على وطن طاهر	تضوُّع منها بمسلك وطيب
	سلام سلام على ساعدي الـ	أشدَّ وصنوى المطيع الأديب
	سلام على خيرة الأصدقاء	ع عميد الأملعي الأريب
	سلام على لطف زهراء إذ	تفرِّج همي ، وإذ تعنسي بي !

(همام في بلاد الأحقاف)

(يخرج المندبل من جيبه فيضمه إليه ويقبله)

أتعلم يا مندبل أنك مؤنسي وأنك عندي للكريم المحبب
وما ضر من ينأى - وأنت بكفه أنيس نواه - أنه يتغرب

(يمر على آثار مزارع قديمة مندوسة يتمهل في السير قليلا

يتأمل في تلك الآثار) .

كانت مزارع ما لها حد	انظر إلى هذي السهول فقد
- غير المر لراكب - تبدو ^(١)	كانت جنائنا لا فجاء بها
أهضام من حنثها تمتد	من عبوة الوادي القصي إلى
فغنوا وعيشهم بها رغد	عمر الجلود بها مواطنهم
منه العهد وما بها بُعد	ما بعد عام الألف ما قدمت
لدام الألى اشتغلوا بها بعد	لما تحف بها مواطسيء أقدم
سبيضاء والأفواه والرنند	البر والسمرء ، والذرة إلى
بقطوفهن كأنها شهد	والنخل والأعصاب حافلة
من سئس حضرا فينسد	والسدر يفرش في الفضا بسطا
بين الحقول يزينها البرد	فهناك النعماء تخطر ما
يعتاق صفوهم ولا جهد	لله عيشهم فلا كدر
فلقد تقادم ذلك العهد	دع عهدنا العادي من قدم
تحت الجنان كأنها الخلد	إذ كانت الأنهار جارسة

(١) الفجاء جميع فجوة . ورد في الرحلة المتوكلية وصف حضرموت على عهد
حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بساتين ممتدة من حضرموت إلى المسفلة لا فجوة بها
بحالية من الأشجار والزرع إلا مقدار ما يمر الراكب .

تلك الحقائق لا يُصدقها	قوم عيون قلوبهم رمد
تلكم بقاياها تدلُّ على	ما كان - سدُّ دونه سد !
يحتاز ماء القطر يقسمه	بين الأراضى حكمها القصد
فتمت مزارعها فما فتئت	فيها الغيوث تروح أو تغدو
هي سُنَّة الباري فما كثر الـ	سأشجار فالأمطار تشتد



قف سائل الآثار كيف دوت	تلك الخمائل فهي ذي جُرد
تخبرك إن نطق : ورثما	نطق الجماد وقوله الرشد
في بطن أرضٍ أنست واطمأ	همم تصول فليس ترتد
تصبو إلى العمل المفيد ترى	أن السعادة ركنها الجسد
فتلاهم خُلفاء كأنهم	لا ساعد لهم ولا زئبد
فَسَبِيلُنَا ترديدنا أبدًا :	نعم الجلود وبمست الولد !!



المشهد الثالث

في منتصف الطريق على مقربة من الريدة (بلاد البدو)
(همام يلتفت - وقد كادت الشمس تغرب - إلى بدوية عامر)

همام : سر يا أخا البدو وحثّ جملك لا يُظلم الليلُ ويشتدّ الخلك
ونحنُ لَمَّا نأت بعدُ منزلَك أبلغك الله بخير مأملك
ولا أصابَ الحبُّ يومًا مقتلك

عامر : هُمام يا خير سَراة العُرب لا تذكر الحبَّ إعيان صبّ
متى دعا داعي الهوى يُلَبّ إني أحسُّ ضرماً في القلب
يدفع في صدري ويكسوي جني !!

همام : بالله هل تُعرف معنى الحب؟ وما به من فرح وكرب
وهل سَعِدْتُ مرةً بالقرب أم أنت مثلي مستطار اللبّ
لَمَّا يَفُزُّ من حوضه بشرب

عامر : أنت إذن يا صاحبي سعيدٌ وإنني وحدي أنا الممسود
من بعد ما طاب لي الورود خلاني عن حوضها الصُّود
فليس لي صبرٌ ولا محلود

همام : أنت السَّعيد وأنا المنكسودُ فالوَصِلْ مهما قلّ فهو عيدُ
تُشفّي به من دائها الكبود لكنّ هجري الأبدُ الأبيدُ

عامر : لَيْتَ الزَّمَانُ لِي بِهِ يَجُودُ وَبَعْدَهُ تَطْوِينُ اللَّحُودِ !!
يُظْهِرُ لِي مِنْ بَعْضِ مَا أَرَاكَ أَنَّكَ تَهْوَاهَا كَمَا تَهْوَاكَ
يَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ وَجُودِي ذَاكَ إِذْنُ لَكُنْتُ حَامِلًا مَوْلَاكَ
وَمَا شَكُوتُ مِثْلَ مُشْتَاكَ

همام : عَامِرُ مَا زَادَنِي ارْتِبَاكَ أَنَا اشْتَرَكْنَا فِي الْهَوَى اشْتَرَاكَ
أَشْكُو نَوَاهَا وَهِيَ تَشْكُو ذَاكَ فَيَسْتَهْلُ مَلَمَعِي اشْتَبَاكَ
لَمَّا بَلَاهَا وَبَلَا أَخَاكَ

عامر : (فِي حَزْنٍ)
لَا تُحْسِبَنَّ هَجْرَهَا هَجْرَ شَرَفٍ لِفَرْطِ غِلْجٍ أَوْ دَلَالٍ أَوْ ظَرْفٍ
لَكِنَّهُ أَشْنَعُ ذَنْبٍ يُقْسِرُفَ تَتْرَكُنِي زَوْجًا إِلَى غَيْرِي تَرْفُ
وَصَلَّكَ عَقْلِيهَا مَعِي لَمَّا يَجِفُّ

همام : رَبَّاهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ذُو شَفَفٍ يُسَلِّمُهُ الْحَبَّ إِلَى مَهْوَى التَّلَفِ
رَحْمَاكَ بِالْعِشَاقِ مِنْ جُورِ الْهَيْفِ مَا غَارَ مِنْ غُورٍ وَلَمْ يَفْعَلْ شَرْفُ
إِلَّا وَفِيهِ مَغْرَمُ الْقَلْبِ دَرِيفُ

المشهد الرابع

(يصلان إلى حي عامر في الريدة (بلاد البدو) . يذهب
عامر لسقي جملة وإراحتة ويسلم هماما لأخته ناهية)

ناهية

: (منتقبة لا يرى منها إلا عيناها)

أهلاً بمن وافى دار أخي عامر
إنزل على الرحب في المنزل العامر
وأمر عما شئت فإنك الأمر
(تهى أدوات القهوة وتباشر إصلاحها)

همام

: بورك يا أخت فيك وفي عامر
سرتيما عني بلبالي الشائر
سماحة البادي يجهلها الحاضر

ناهية

: (منادية)

هلم يا سُعدى هلم يا بُنسى !
لنلم حيين ضيف أخيكنا
(تدخل فتاتان جميلتان متلصمتان وتصافحان هماما . ينظر
إلى إحدهما همام نظرة كالسهم . تلاحظ ناهية ذلك) .

ناهية

: (لهما)

إني أرى عيبك عيني شاعر قل ما تشاء وبك لا تحاذر
لا بأس عندنا بلحظ الناظر إنا نرى العفة في الضمائر

همام : رأيت بـلـدراً تصفه في السحب والتصف مبين
هي عليها يا نسيم واكشفني ذلك الجبين !

(تضحك الفتيات وثقهقه ناهية)

ناهية : لو أزاحت لثامها لك ما أنت فاعل ؟
ولو انجابت السحائب لب ما أنت قائل ؟

همام : سأريها الغزال لو أن بـلـدراً يغـزال
وسـتـروي روائعي في هواها القـبـائل

ناهية : همائم ! ما البدويـا
الموقرات من التبر حاليسات المحاسن
كأنما أنت بالبـد و سـاخـر أو مـداهـن !!

همام : لا والذي فلق الحـ
لنفسى المهي البدويـا
لحـاظهن سـهم
قدودهن رمـاح
جمـالهن الطيـعي
لب ، سره فيه كامن
ت معجزات المحاسن
لها القلوب . كنائن
في كل قلب طواعن
زاحـر بالمفـساتن

ألم تسمعي ما قال شاعر يعرب أبو الطيب السامي على كل شاعر
تخامي حسان الخضر في الشعر ناسباً بما في البوادي من مهية وجاذر
ما أوجه الخضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعابيب
(حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب)
(يدخل عامر)

عامر : يا مرحباً بهمام النَّدب إنزل على سعة على رحب !
هل تشركوني في حديثكم فلعنكم تجلون من كرسي

ناهية : ضيفك بهوى البدويات ولا يحسب الحضريات

عامر : أتحيهن همام ؟ إنك شاعرٌ ماذا تعشق في ظباء البادية ؟

همام : أهوى بساطتها وأهوى دها ولحافظها مثل السهام الماضية
وتعلمني سكرًا طوال قلودها وتشوقني منها الخلال العاليه

عامر : إن كنت تعشقها فخذ لبني (مشيراً إلى لبني)

وخذ إن شئت سَعْدَى (مشيراً إليها)

(مشيراً إلى لاهية) أو فخذ لك ناهية

(يضحك الجميع ويضحج المجلس بالضحك)

ناهية : أما أنا فلا أحبُّ شاعراً يلفظني ثمراً ويهواني رطب

يُطالع الغيد الحسانَ دهره فكلما أبصرَ حسناءَ نسب

همام : إني لأدري من طباع الغيد ما يُبين لي من قولك المشتبها
لا شيء كالشاعر أحظى عندها وإن تكن تكرهه زوجًا لها

عامر : بأي شيء يُفضلُ الشاعرُ يا همام عند الغانيات من عداه ؟

همام : لقبلّة واحدة من شاعر أحلى وأشفى من ألوف من سواه
يودّعها مُهجته فيرتوي منها الهوى . وينقع الحب صداه
يطبّعها على الجبين ذاكرًا كل تحليل في الزمان وهواه
كأنما يجمع تاريخ الهوى بقبلّة الخدين أو لثم الشفاه

(ينتفض انتفاضة فجائية كأنما تذكر أمرًا عظيمًا . ويبقى
ساعة في ذهول)

أستغفر الحب لقد أشسركتُ في عبادتسه
ماذا أقول الحبيسي خنتسه في غيتسه ؟
أيدّعي هواه من يُخفّسه في ذمتسه

* * *

كأنني بالحب يلسو نبي بسوط نِقمتسه
الحدتُ في توحيدده لم أنحش مسن عقوبتسه
أكلما لاح جمال همت في صباهتسه ؟

ناحية : عامر ! ما للضييف لجّ غارقاً في غشيتيه ؟
إني أخاف أن يصا بَ في الحمى بميتته

عامر : دعمه ! خليه ! فساني عسarf بمحتته
سينجلي عنه السذي أصابه من سكرته

همام : (باقيا في ذهوله غير متعبه لما بين يديه مستطرداً في حديثه)

يا حسن ! لا تعاقبي عبيدك في جريمتيه
فقد أتاك تأببا من ذنبه وهفوتيه
ما كان إلا عسافداً حُسْنك في قداسسته
يشهده في كل وجو زانحر بفتنتيه
في طلعة البدر ، وفي الظبي وحُسن لفتته
وفي زهور السروض في ريعيه ونضرتيه
وفي وجوه الغيد شيء من ضياء غرته
يختلف الحراب والسر ب بوحدانيته

(يدار بهامر ويغشى عليه . تتراع أخواته وتأخذن في
تنبيهه برش الماء عليه)

ناحية	: عامر !	
عامر	: ها !	
سعدى	: عامر !	
عامر	: ها !	
لبنى	: عامر !	
ناحية	: قسم يا عامر !	
	همام	
همام	: (مفيقا من ذهوله)	
	ما لعامر ؟ هل نـ	عام ؟
ناحية	: (لنفسها)	بهذي الآخر !
	(ثم همام) أما تراه ساقطاً	مغمى عليه يا همام ؟
	روعتمنا قلوبنا	الليلة في هذا الظلام ؟
همام	: لا تخافي سوءاً على عامر	إنني لأدري ما يعانيه عامر
	أسمعيه اسم زوجته يصـ	ح من إغمائه
ناحية		إنها لزوج غادر !
همام	: إن تكن غادراً فإن هواها	لج في نفس عامر والشراشير !
ناحية	: إنه قد سلا هواها ؛ أيهوا	ها وقد آثرت عليه ابن جابر ؟
همام	: صلتقيني بأنه ما سلاها	إنني عارف له وخامر
ناحية	: غصن ! يا غصن !	

عامر : (يمسح جبينه)
 أين غصن أجسادك ؟ مرحبًا مرحبًا بأكرم زائر !!
 راجعيني يا منية القلب بالله فإني لما جئت لفافر !
 (بصوت منخفض)

أو فخافي من عامر فسيرديك - على رغم أنه - وابن كاسر
 (يجلس فلا يرى إلا همامًا وأخواته)

ناهية : أين غصن أيمت جهة المخدع ؟
 يا عامر اتبه يا عامر !!
 لم تجئنا غصن ودع عنك غصنًا إن في حينًا معات الخرائر !

همام : (لعامر)
 عامر قسم بنا نصل فرضنا
 (يلتفت للنسوة)

ناهية : وقمن صلبن جميعًا خلفنا
 وقمن أنن فهين الوضوء
 ويحك هل على النساء مفترض ؟
 لا نعرف الصلاة هل تريدنا
 مثل الرجال للصلاة ننهض ؟
 حسب الفتاة عندنا استقامة
 بأن تصوم الشهر إذ ترمض

عامر : حتى الرجال بعضهم يصلي
 وكنت فيما مرّ من أيامي
 والأكثر الأكثر من تخلى !
 أخشى من الخمس على أنعامي
 فإن غضبت مرة على جميل
 رميته بركتين فاحتمل !

حتى علمتُ بعد ذلك أنه وهمٌ فأقسمت لأتركه
ومنذ ذلك ما تركت الخمسا وما رزئت بكرة أو عنسا

همام : رياه هل تبلغ دعوة النبي إلى ربي الصين وأقصى المغرب
وتخطئ الدعوة أرض العرب ؟؟

عامر : همام ليس الذنب للأعراب الذنب ذنب قارتي الكتاب
من ساكني الحضر ذوي الألباب إذ لم يشوا دعوة الوهاب
في البدو أهل الجهل والغلاب وعطلوا بأوهن الأسباب
وصية النبي والأصحاب

همام : (في أسف وحزن)
شغلتهم قباهم والقبورُ أن يقوموا بدعوة أو يسيروا
حسبوها في نسكهم كل شيء فعلام الإدلاج والتهجير ؟
كل (شيخ) و(سيد) عنده قبر إليه التيسير والتعسير !
وإليه اللجأ وفيه المرجى وعليه التكلان وهو المحير
كاشف الضر إن أصيبوا بسوء فإليه ابتهاهم والخضور
وإذا ما انتفخوا قضاء مرام فإليه قربانهم والنذور
كيف ترجى هداية البدو منهم وهم عن سنا الهداية عور ؟
إن حسب البداة أن يستظلوا في حمى دجلهم وأن يستحجروا
ويكونوا على هواهم نزولا يديهم شعثونهم والأمور
حسب ذلك الخضوع ليضخوا سُعداء وذنبهم مغفور

آه لو مُذْذِبَ البسدةَ لأمسروا وبهيم للأتنام عسر كسر
ولكفوا عن قتل بعضهم البعض وقطع السبيل وهو كسر
ولساد الأمان وانبسط الخير وزال الشقا وعسم السرور

* * *

المشهد الخامس

(تشرق الشمس ويقوم عامر يشد حمله وهمام يشد
حماله يتهيأ للسفر)

همام : (راكباً على حماله وعامر بحث حمله)

عامر ما كان حديث البارحة ؟ سوء خضام يعد حسن فاتحة
عامر : أنت الذي شبيت بالذكاء نارا بقلبي يا لها من نار !

همام : كيف الطرحت ساقطاً مغنى عليك ؟
عامر : كيف هذيت والنسا بين يديك

همام : لا . ما هذيت ...

عامر : وأنا لم أنطرح وإنما قلت لجسمي اسرح !!
أوآه ! لو لم تكن اليوم معي لكان لي شأن مع الخب اللعي !

همام : يا عامر أتتدّ وحلّ الطيشا فقتلك النفس يُمرُّ العيشا
دعها وما اختارت وخذ سواها فأبلغ النفس بها منهاها

عامر : همام هبها لك هل تقوى على أن تلزم الصبر على هذا البلا ؟
لا والنبي المصطفى المختار !

همام : ويحك ! لا تحلف بغير الباري
فإنه نوح من الإشراك بخالق الأكوان والأغلاك
وقد نهانا عنه سيد البشر أليس في قول الرسول مزدجر ؟

عامر : أقسمت بالله ورب البيت ورازق الحي ومحبي الميت
لأسقين النفل موتاً أجراً وأروين من دمائه الشرى
وأفتكن بعده بالفاجره أفتفها قبلي لدار الآخرة !

همام : يا عجباً تقتلها وترقب بعد لقاءها بدار المنقلب ؟

عامر : إني أحبها ، ولولا حبها لكان مني الطلاق حسبها
تأبى عليّ غيرتي عليها تركي سوائيّ أويأ إليها
يرغم أنفي أن أسومها الردى وبعدها سوف أموت كمداً !

همام : ألا تخاف غضب الرحمن في قتلك الأنفس بالطغيان ؟

عامر : من ذا يخاف الله بعد اليوما ؟
أنت تقول الحلف بالنبي
فانظر إلى الأنام هل تورعوا
أما تراهم يلهجون بالقسم
يسرون إيلاء بعد الله
قد ذهب الناس فحل اللوما
محرم في شرعه السسوي
عنه بتهي المصطفى وامتنعوا ؟
جهلاً بكل رمة من الرمم ؟
أعظم من إيلاتهم بال الله

همام : ما أنت والناس ، عليك نفسك
أعزز علي أن أراك عاقلا
فليس من يدخل منهم رمسك
منور الفكر وتغلبو قاتلا

عامر : همام إنني شاكر وداك
فإن أطق الكف عن ضلالي
وإن تغلب الشقا عليه
فأفضل للنصح النفيس الغالي
فلمست إلا من بني غزيه !
ونصحك المحوض واجتهادك

الفصل الرابع

المشهد الأول

« همام - خارج باب مدينة الشحر ساحل حضرموت
عائداً إلى سيوون - بعد أن قضى عامين ببلاد جاوا - راكباً
على حماره ومعه دليله النجاف حاملاً فوق ظهره رزمة من
الكعب في غلاف من الشمع المتيّن » .

همام	: أسرع السير يا دليل !	أسرع السير يا دليل !
	إن بي ظماسة لمسأ	بسيوون سلسيل
	بُلّ متي صدى الجوى	واشف من جوف الغليل
	ليت شعري - وكادت النف	س من يأسها تسيل
	ومضت أربع طوال	- وعمر النوى طويل -
	في انتظاري - والانتظا	ر لأهل الهوى قنول
	أتري الوصل لي متا	ح أم الوصل مستحيل ؟
	أذا ما دنوت ميلا	تساعت ألف ميل ؟
	قسماً بالحبيب ! - أستغ	فر الله ! - بالجليل
	لا أرى الوصل ممكناً	أو أرى وجهه الجميل
	وأراه بعين رأسي	بسلام حائل يحول !
	وأحسّ اليمين في	فرعه مرة تحول !

ضاق صدري ، وعيل صبي
وتساهى بيّ الجسور
وتداعيت أضالعي
واسستحالت قريحتي
أنهادي كثر ساربي
جساحم في جوائحي
كلما قلت : ذاب قلبي
رجّ صديري عنفوقه
فحسانيك لا تلتسم
ليست شعري هل لي إلى
فأمسائي أو شمسك
أجفلي وحدي أنا الجدد
أسرع السير يا دليل

سري وضلت بيّ السبل
وبسري جسمي النحول
من نشيج ومن عويل
من ذكاء إلى ذهول
أوهنت ساقه الثمول
يتلفسي بلا فتيل
وغالته منه غول
فتوقفت أن يميل
أو قلّم أيها العذول
ما تمثنته وصول ؟
أن تموت من الذبول
ب والخصب في الحقول ؟
أسرع السير يا دليل !

النجاب : يا أخا الخضر هل ترى
لست احتساج أن تقول :
لي من النفس سائق
أختشي أن يفوتني
(يصمت قليلاً ثم يقول)
أين نصرّ مني ؟ وأين
أنا سسيري منظم
وهو يشتد في الدميم

رجلاً سيره ثقيل ؟
أسرع السير يا دليل
ينهب الحزن والسهول
« نصر » نجاب (باعقيل)
من المضممر الهزيل ؟
لا بطسيء ولا عجول
سبل فيعناقه الليميل

النجاح	: لا رعى الله عهد	إنه عهد عزرائيل
	لا تقدره يا إلهي	وعتبر له السبيل
	وإذا تم فأنزل	بأذى البدو والقييل
	وإذا ما مشى فلا	فارق الوحل والسيول
همام	: قل لي لأية علة	أبغضت خلقاً من حديد ؟
	ماذا جناه عليك حتى	سى خلته الخصم العنيد ؟
النجاح	: هو قاطع رزقي القليل	كل غداً وأرزاق العديد
	من كل جمال وحم	سار وماش بالسيريد
	أتريدنسي كالخضر إذ	عخالوه مفتاح السعود ؟
	وبشير آمال النهو	ض وفجر أيام الصعود
	توسوا وخاب رجائهم	وتعشرت بهم الجسدود
همام	: (لنفسه)	
	فهم الفتى البدوي ما	لم يفهم الناس الرشيد
	(ثم للنجاح)	
	حييت من فطين فدا	وك كل ذي ذهن بليد
	ما قلت كفاف لي	سقت ما يضر ولا يفيد
	وراء ذلك سوام أبرص	تفتت السهم المبيد
	سئل الممالك والشعر	ب وهيضة العصر الجديد
	من كل لص قاتل	للمال والخلق الحميد
	لكن ظلم الناس بعد	سبهم لبعضهم عتيد
	ليعيش فرد واحد	لا بأس من شعب يبيد
	ولسوف يجنون الندا	مة منه والأسف الشديد

المشهد الثالث

« منبسط من الأرض فسيح يرى في آخره من جانب
الوادي مدينة « سيرون » على بعد بحيث لا يتبين الناظر إليها
إلا بياض منائرهما وأبنيتها العالية مخوفة بهالة عظيمة من حضرة
النخيل المحيطة بها من نواحيها » .

أهذه سيرون أم	:	همام
للله ما أجملها		
تحسبها — من بُعد —		
قد نثرت في تربها		
تفوح في أرجائها		
يحنو عليها جبل		
تضرب في أجوائها		
كأنها أعمدة		
تجعلها الرياح في		
أو كقرون حامل الـ		
أثقله آثامها		
قبابها زاهية		

جنة عدن أزلت للمتقين
منظرها الزاهي يسر الناظرين
حديقة خضراء تسقى من معين
جنابذ اللؤلؤ والدر الثمين
روائح الورد وعرف الياسمين
كما تضم طفلها الأم الحنون
منائر تخفى مراراً وتبين
قامت عليهن السماوات المشون
تلعبها أهوائها إذ ينسرين
أرض على قرنيه فيما يزعمون
فمرقت من جوفها تلك القرون
لو لم يكن حرماً أسمح دين

(همام في بلاد الأحقاف)

هَدَمَ بَعْضُهَا (بَنُو السَّيِّئِ) تَوَحِيدُ) فِيمَا قَدْ خَلَا مِنْ السَّنِينَ
فَهِيَ تَرَى كَأَنَّهَا بِيضُ نَعَامٍ أَجْفَلْتُ مِنْ صَائِلِينَ
رَبِيعَتِ فِدَاسَتِ بَعْضُهُ فَهُوَ عَلَى الْأَرْضِ فَلِيقَ وَطَحِينَ

* * *

لَمَنْ يَكْسِنُ مَنَظَرَهَا وَحُسْنُهَا الزَّاهِي مَتَاعَ الْمُبْصِرِينَ
فَسَانٍ فِي مَخْبَرِهَا خَيْرُ مَتَاعٍ لِقُلُوبِ النَّازِلِينَ
تَفَرَّدَتْ جِسَانُهَا بِالظُّرْفِ وَاللِّينِ إِلَى خُلُقِ مَتِينِ
وَرَقَّةٍ كَأَنَّهَا نَسِيبُ (عَبَّاسٍ) أَرْقَتَهُ اللَّحُونُ
كَأَنَّهَا أَنْتِ إِذَا جُزْتَ بِهَا تُخْطِرُ مَا بَيْنَ الْغُصُونِ
إِيَّاكَ مَنْ لِحَافِهَا إِيَّاكَ أَنْ تَصْرَعَ مِنْ سِحْرِ الْجَفُونِ

يَتَهَدَّى

كَأَنَّ (حَسَنًا) أَفْرَغْتَ عَلَى رِبَاها مِنْ جَمَالِهَا الْمُبِينِ
نَضَارَةَ كَخَلِّهَا تَعَبُّ حَتَّى تَرْتَوِي فِيهَا الْعَيُونَ
وَرَقَّةٍ فِي جَوْهَا كَمَا تَنْدَى نَحْجَلًا مِنْهَا الْجَبِينِ
فِي مَائِهَا حَلَاوَةٌ مِنْ رَيْقِ حَسَنِ مَا لِحُورِ الْأَنْدَرِينَ؟
وَفِي عَيْبِهَا شَمْسُهَا مَلَا حَةً مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ الْحُسَيْنِ
وَفِي قَلْبِهَا غُلُّهَا مِنْ قَدْ حُسْنِ هَيْفَةٍ بِهِ تَزِينِ
صَبَاحُهَا الْقَضِيَّةُ قَدْ سَالَتْ عَلَى زَمْرَدٍ مِنَ الْغُصُونِ
وَذَهَبُ أَصِيلِهَا يَتَعَثُّ الْأَنْسُ وَيَهْتَاجُ الشَّجُونِ
مِنْ نَحْرِهَا وَتَغْرِهَا وَجَحْتِهَا سَرَقَاتُ تِلْكَ الْفَتُونِ
وَلَيْلِهَا مُعْنَسِمٌ كَفَرَعِهَا فِي عَرَفِهِ وَفِي الدُّجُونِ

مدينة شـيـبـيـهـا في حضرموت وسواها لا يكون
(يتأوه)

لولا توانى أهلها لقلت هذه جزاء العاملين
ليس لديهم عمل إلا قضاء الوقت في طـوـر مشين
يشقون في غربتهم بالجمع للمال وهم مقتصدون
حتى إذا ما وصلوا إلى بلادهم إذا هم يسرفون
كأنهم قـيـاصـرٌ يـتـدـون المال لا يـكـتـرون
ولا يفكـرون في خدمتها بالترز مما يجمعون
ولا يزالون في غربتهم صناعة أو يـخـزقون
لينفعوا أو طـانـهم بها إذا عادوا إليها راجعين

* * *

المشهد الثالث

(حمام في مكتبه وعنده صديقه محمد يزوره زيارة
خصوصية بمناسبة قرب زواج حمام)

حمام	:	محمد
محمد	:	لييك ا
حمام	:	ماذا ورا ءك من خير ؟
محمد	:	ليس عندي خير

سوى أن قلبي مستبسر
وأنت سوف ترى من تُحب
بنيل المنى وبلوغ الوطر
قريباً وينزاح عنك الكدر

همام : أخي أنا في مريّة بعد في
فقد درجت في انتظاري السنو
لقاء حبيب فؤادي الأغر
ن وما بُلّ من ظمأي المستعر
إذا وعدوني جُمادى اللقا
ء تلاشت جُماداهُم في صفر

محمد : همامُ زمان المطال انقضى
أُغري بقلبك بَرَح الشكو
وهذا أوائل الوصال ابتدر
ك والوصلُ بعد غدٍ منتظر ؟
وهذي بيوتك قد زُيّت
وأهلوك في نَشَوات الحَبَر
وأكدتُ أمس على المطرب
ن - على رغم أنف الذي قد حَظَر -
بأن يحضرونا مساء الزفاف
وصبحَ الدحول وليل السمر

همام : سلمت وهل رضي المطربو
ن بذلك ؟
محمد : رضوا بعد طول النظر

همام : همام
نَحشُوا المَناعين لهم أولاً
ومَنَعَهُم الناس أن يطربوا
وليس بذلك لهم حجة
محمد : لا أبتغي المطربين
لأن يقال : لحظّ هوا
وإن سروري بالوصل لا
ولكن سيزدان بالمطربين
فداويت بالمال ذاك الحذر
كما يطربون . دليل البطر
سوى كبريائهم والأشر
على أنني لك ممن شكر
ه دعا للمساواة بين البشر
ممن نَقَر الدف أو ممن زمر
زواجك أهلاً به تفكر !!

صديقي إلى مَ نحسب الغرام ؟ إلى مَ فؤادك مثل الحجر ؟
إلى مَ أراك وحيد الظلام وحيد المقيبل ، وحيد البكر ؟
محمد : همام رويناك !

« يتندر البكاء فيعرقه عن إتمام كلمته » .

همام : (لنفسه) ويلاه مال صديقي أدمعه يتندر .. ؟
أشق عليه كلامي ؟

محمد : (ثم محمد) محمد ————— زلت لساني ألا تغفر ؟
محمد : (لنفسه)

إلهي أبحث بسر الهوى وكنت على كفه أصطبر ؟

ثم همام : صديقي أنحسب أنك سر
أمثلك يرحسني قوله ؟ فقلك لعمرى إحسدى الكمر
ويا ابن الأكارم ماذا جنيت حتى تنصل أو تعنلر ؟
همام كمنك جهدي الهوى ولكن أبى الحب أن يستر
همام أنعهد مني البكاء همام أعرف في الخسور ؟
وكنت ألومك فيما مضى فيا ليتني كنت فيمن علر !
وأعجب كيف تصول الظبا ء على الأسد؟ حتى رماني القلرا

همام : محمد ! لا تحسن الدموع ودعها على رسلها تنهمر !
فإن القلوب إذا أجديت بحزن فإن الدموع المطر !
وقل لصديقك أي الظبا ء رماك وصرح له بالخبر
فما في الصباية عار على فتي طاهر الذيل عف الأزر

محمد

: (يكفكف من دموعه)

همام أتذكر « علوية »
 سائلة طه ، فتاة الحجى ،
 أتتني يوماً على حالي
 محمد ! هذا أوان الغيث
 مضت ليلتان وما عندنا
 وأخفى غارقة في السفا
 وزوجة عمي في طلقها
 وعمي سافر منذ شهر
 وكان لدينا بحانوته
 فشنع إخوانه بل عداه —
 يُدنس أحسابنا إذ يرو
 فما أنهت القول حتى غلب
 وأذهلها الحزن عن موقفي
 فأبصرتها من خلال الحجا
 رأيت الجمال ، رأيت الجلال
 وراحت تنب عليّ الثنا
 وقد تركني سليب الفوا
 أردد أقوالها في الضمير
 فهأنذا بعدها يا همام
 رحمت فأسعفت ثم انثيت
 فلطفك يا رب فيما قضيت
 نصيرتنا في الجهاد العسير ؟
 مثال الكمال مثال الطهر
 تذيب القلوب وتجري العبر
 وهذا أوان تلامي الخطر
 من القوت شيء به نعتصر
 م وإنني لأحسبها تحتضر
 تعاني المتاعب والوقت قر
 ر فلا عاش مضطره للسفر
 يعيش ويتجر فيمن تجر
 عليه ، وقالوا : لئيم قذير
 ح إلى السوق كالناس أو يتكرا
 ت ويوشك قلبي أن ينفطر
 فلم تحفظ ولم تستتر
 ب كما لاح بين السحاب القمر
 رأيت الهوى والشباب النضرا
 بما قد قضيت لها من وطر
 د قليل القرار ، كثير الفكر
 ترن بأذني كصوت الوتر
 قصير الرقاد طويل السهر
 وفي كبدي مثل وخز الإبر
 فلم يُنج مما قضيت الحذر !

همام : يا صديقي عندي إليك عتاب واطراح العتاب مني قبيح
أكلذا تكتنم الحوادث عني وعما دونها إليك أبوح ١٢

محمد : يا خليلي إن كان ساءك فعلي فاعفُ عني فأنت عني صفوح
إن عيب الهوى عليّ ثقیلٌ وببئسك سرّهُ أسّريح
غير أني كتمتُ عنك جهدي حلراً أن ينسالك التسميح
ولو أني نظرتُ فيك لحظي يا خليلي للذّلي التصريح

همام : خف عن ظهرك العناء لظهري فاسلُ عنه فإنه مطروح
إن ما أنت آملٌ سوف أغدو ساعياً في تحقيقه وأروح
فدع الهم إنها سوف ترضاك وحسب المليح زوج مليح
محمد : (لنفسه)

هو يسري بأن ما أتوخا ه مُحال من الأمور طروح^(١)
فهو يبغى بذاك تخفيف حزني إتسني بالأسى إذاً لذيسح

* * ■

(١) بعيد .

المشهد الرابع

(ساحة كبيرة أمام بيت العروس « حسن » فيما بعد منتصف الليل . يرى هناك جمهور من النساء يصطففن لزفها إلى بيت « همام » تتوسطهن « حسن » عليها غطاء لا ترى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع تتقدمهن القينات المغنيات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينما الجمهور يتحرك ويتجه - في سير بطيء - إلى جهة بيت همام .)

القينات	:	نحن نزف الشمس	والشمس في ضحاها
		فما أجل عرسا	يغمسه سسناها
الجمهور	:	نحن نزف الشمس	والشمس في ضحاها
		فما أجل عرسا	يغمسه سسناها
القينات	:	نحن نزف الحيا	نحن نزف السمى
		نحن نزف الضيا	نحن نزف السنا
الجمهور	:	نحن نزف الشمس
	
القينات	:	يا عصابة الغواني	هلم للتطريب
		اشدون بالأغاني	واهتفن بالنسيب
		واضمذن بالأماني	حوامسي القلوب

الجمهور	:	نحن نزف الشمسسا
القينات	:	حيّسين بالسسلام
الجمهور	:	واقفان بالأنغام
القينات	:	روائح الجنسان
الجمهور	:	نحن نزف الشمسسا
القينات	:	نحن نزف الملك
الجمهور	:	نحن نزف الشمسسا
القينات	:	يا قمر السماء
الجمهور	:	نحن نزف الشمسسا

(يقربون من بيت همام)

القينات	:	سُقْن إلى همام	جمال هذا النادي
		واحسدون للضرغام	لباة هذا الوادي

الجمهور : نحن نرف الشمس

... ..

في الطابق العلوي من دار همام حيث تستقبل نسوة الدار
النسوة اللاتي زفن « حسناً » . تنحاز نسوة الدار إلى جهة ،
ونسوة الزفاف إلى جهة أخرى والقينات في الوسط يضرين
بالدفوف .

القينات : الأيمن والإقبال والسعد والسعادة

للمعربين فال والفضل والزيادة

شاعرة نسوة الزفاف : نحن نرف الحسنا نحن نرف بلقيس !

ثم سائرهن : نحن نرف لبنى فهل لديكم من قيس ؟

شاعرة نسوة الدار بحية : همامنا كالمأمون إن زفتم بـوران

ثم سائرهن وهكذا في باقي الأبيات إلى آخرها

وإن تكُن بلقيسًا فإِنَّه سليمان !

نسوة الزفاف : النصر للعروسة !

نسوة الدار : بل هو للعروس !

نسوة الزفاف : للدرّة النفيسة

نسوة الدار : للجوهر النفيس !

نسوة الزفاف : للحرّة المصونة وربّة الجمال

للدرّة المكنونة واسطة اللاّلي !

نسوة الدار : لمفخّر المدينة لسيد الرجال

نسوة الزفاف : الناس يعرفونه بكرّم الخيال

نسوة الزفاف : النور والشعاع ووهج الشمس

والجواهر اللّماع	وحبّ الكسّوس	
جميعها أشياع	لهذه العروس	
: أجمد والكمال	وكرم الأخلاق	نسوة الدار
والقول والفعال	وحسب الأعراق	
جميعهنّ آل	عروسنا الغيداق	
: نحن نرف الحسنات	نحن نرف بلقيس	نسوة الزفاف
نحن نرف لبنى	فهل لديكم من قيس ؟	
: همانا كالمأمون	إن رفقتهم بوران	نسوة الدار
وإن تكن بلقيس	فإنه سليمان	
: كلا العروسين زين	للمجد والعلاء	القينات
فلا تفاضلن بين	سراجي السماء	
أين الحجر أين	كواكب الجوزاء	
أصوغهنّ لدين	تاجين بالسواء	
: يا رب باركهما	في ذا الزواج السعيد	القينات ثم الجميع
واجعل زمانهما	كأنه يوم عيد	
وانفجهمما بالولد	مثل دراري النجوم	
في ظل عيش رغد	وفي صفاء يوم	

(ستار)

الفصل الخامس

المشهد الأول

علوية : (على فراش المرض . حسن تعودها في بيتها) .

علوية :	عَلَيْتَنِي حُسْنُ؟ مَرْحَبًا بِكَ يَا أَخِي	تُ
حسن :	وَقَاكَ الْإِلَهِ مَا تَحْذَرُنَا !	
علوية :	مَا الَّذِي تَشْتَكِينَ ؟ نَفْسِي فِدَاءُ	
علوية :	أَقْصِرِي حُسْنُ أَنْ تَمْنِي عَلَى رَسُولِ	
	بَلْ سَلَى اللَّهُ لِي الشِّفَاءَ عَسَى أَنْ	
	أَوْ سَلِيهِ لِي الْعِزَّاءَ فَسَلِّتَنِي	
	حُسْنُ ! إِنِّي أَحْسَنُ فِي الصَّدْرِ نَارًا	
	أَشْرَبُ الْكَأْسَ بَعْدَ أُخْرَى مِنَ الْمَا	
	أَحْسِبُ الْمَاءَ يَسْتَحِيلُ بِحَوِي	
	أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدْعَ الْمَا	
حسن :	لَا تَخَافِي سُوءَ أَفْعَالِكَ فِي الْعَفْ	
	تَبْذِلِينَ الْمَعْرُوفَ جَهْدَكَ لِلنَّاسِ	
	وَتَرَاعِينَ لِلْجَوَارِ حَقُوقًا	
	وَتَوَالِيْنَ مِنْ يَحَامِي عَنِ الْحَقِّ	
	فَإِنَّهُ الْوَرَى سِرْعَاكَ ، لَنْ يَتَ	
	لَكَ يَوْمًا عِبَادَهُ الْمُحْسِنِينَ	

علوية

: قدك ؛ هذا جميلٌ ظنك في أحد
إن ربي بخلقه للطيف
غير أن العباد بعضهم ينظرون
أنظري هل بي سوى ظلم أهلي
وتصديتهم لما ليس يعني
مات زوجي ووالدي فلم يُبق
غير عمي - وأنت تدرين ما عم
قد وهى جسمه ، وخارت قواه
أجأوه إلى السفار ليحطوا
زعموا أن بيعه وشراءه
ثم إنني مكنت في عصمة الأبي
لم يحسن منهم ليحطوب ودي
وأبي عالم وجددي حير
ولعل المرأة تصدق عني
: بل تعالى الذي برأك ، وحلا
سطعت أنوار النبوة فيه
: وأتاني محمد وهو من بيت
رجل مملأ الصلور كمالاً
كان لي كلما تضايق حالي
وهو كفتني وكفاء أفضل مني
فأتوا يزجروني عنه حيناً
ما رأوا لي من قبل ذلك داراً

حسن

علوية

سنتك ، لا تحيب الإله الظنونا
يتولى عباده الصالحيننا
سلم بعضنا ، عن ربه ساهونا
لي وأبناء عمي الأقريننا ؟
هم ، وعن واجباتهم يعرضونا
لي الدهر عائلاً أو خدينا
سي ؟ فقيرٌ ينأهز الستينا
وابتلاه السقام حيناً فحيناً
عنهم العار ، هكذا يزعمونا
يكسوان الأشراف في القطر هونا
سم وفي رقة الزواج سنينا
أحد غير فتية عاجزيننا
وأصولي أئمة متقوننا
إن وجهي ما كان في الحسن دو
كـ جمالاً يحير الناظريننا
فاستحالت مباحجنا وفتوننا
حسب أصلاً كما تعلميننا
وخلاً كما يسر العيوننا
ساعداً قبل خطبتي ومعيننا
حسباً أو فضيلة أو ديننا
ويسوموني التهلاً حيناً
فأتسوا بعد ذاك يستبقوننا

ما ثنّاهم عن خطيبي غير فقري ليس عندي ملّال ما ينشدونا
 ذهبوا لابنة الغني وإن لم يك من بيتهم وإن كان دوننا
 وانسروا بمنعونا من سواهم فلمن ويحنّنا إذا يتركوننا ؟
 فدعيني يا حسن أبكي مصابي ! بم أبكي وقد أرقّت الشئونا ؟
 رب ! كن لي وللتعيسات مثلي ليس بين الأتسام من ينصفونا

(لا تمالك حسن عن البكاء فتنهمر الدموع من عينيها)

علوية :	مِمّ تبكين حُسن ؟
حسن :	من أجل بلوا لك فؤادي أحسه مطعوننا !
علوية :	تب ذا العيش ! لا هوى لي في العيد ش إذا لم تحظي بمن تعشقينا
حسن :	أقصري حسن ! بل يظل همام بك في غبطة بها تسعدينا
علوية :	نحن نحبي وأنتما ؟
علوية :	فوقنا الله — به سياسو جراحنا ويلينا
حسن :	فوقنا أيضًا الله — به سياسو جراحنا ويلينا

المشهد الثاني

(حسن في غرفتها . همام داخل إليها) .

حسن	: حبيبي ؟	
همام	: أجهل مُنيقي !	
حسن	: أمالك في قبلة ؟	
	تعال إلى جانبي	أمالك في ضمة !
همام	: (يهوى إليها)	
	بلى يا حياة الفوا	د ، وليك يا مهجتي !
	هبيني لأك هبيني	أطفئ ببه غلتي !
	هلمي نطف بالحيا	ة كالنحل بالزهرة !
	فما في المنى مثل قبـ	لة الزوج للزوجة !
	ننال بها نعمة	وحسبك من نعمة
	ونجني بها لذة	وناهيك من لذة
	وهل كنعم يميء	من الله بالرحمة !
حسن	: حبيبي ! أمالك عن	هوى الشجر من توبة !
	أهبي أنا وحدي نسيـ	سبك أم بي وبالنسوة ؟
	أرى نبرات العمو	م تعصف بالوحدة
همام	حبيبة قلبي ! أقلي	علي من الغيرة
	هلم ادخلي للفرداد	واقضي لي إلى الحبسة !
	فهل تجدني بها	لغيرك من علفة ؟

حسن	: كذا فلتكن لي في	حياتي وفي موتتي
	فما في حياتي خشيت	بل بعدها خشيت
	حياتي اغتسم ساعة	من الصفو والبهجة
	فقد لا تطول حيا	تسي ، وتقصر بي مدتي
همام	: دعي عنك هذا ، وقو	لي سوى هذه الجملة
	بربك لا تذكرني	لنا شبح الفرقة
	فلنم نسرح بعد من	متاعبها الجملة
	ولم نقض بعض اللبا	نة من هذه اللقية
	حياتي لا تلحيسي	واشفق على عيرتي
حسن	: (تكي) أحسن كأن الحما	م مني على خطوة
	ويهمس لي خاطري	بأنني على رحلة
همام	: دعي عنك هذي الوس	وس ، جسمك في صحة
	ووجهك هذا الجمي	ل ينزع بالنضرة
	وسوف تجوزين ع	سر جلدك والجلدة
حسن	: سألمت حياتي لي	
همام	:	ولي أنت يسا بني
حسن	: لقد زال عني الذي	شعرت من الخيفة
	وذابت همومي من	ك في كوثر الجنة
همام	: فديتك ! حسن ستبقى	بيتي كالشمعة
	وتأذن لي بالرحيل	لأم القرى مكية
	وتدعو لي الله أن	يقصر من غيبي
	كما تترجأه أن	يحقق لي طلبتي

: أَحَجُّاً تُرِيدُ ؟

حسن

: أَجْـل

همام

لَأَسْعَى هُنَاكَ لِتَرْوِيهِ - وَشَيْئاً مِّنَ الْقُرْبَى
عَمْدٌ جَلَّفُ الْفَرَّاشِ - سَجَّ خَلْسِي مِّنْ خَلْقِي
أَضْرَبَ بِهِ الْيَأْسُ فِي - يَنْوُو مِّنَ الْعَلَى
وَأَخْشَى عَلَيْهِ الْمَنِي - هَوَاهُ لِعَلْوِيَّة
وَأَخْبِرْنِي أَنَسَهُ - مَن هَذِهِ الصَّدْمَةُ
وَأَنْ بِلَامِ الْقُفْرِى - عَمَّتْ إِلَى الْعِصْرَةِ
فَقَدْ جَاءَ مِنْهَا أَبُو - مَعَالِمُ ذِي النَّسَبَةِ
وَفَتَشَ فِي النِّسْوَةِ الْـ - هُ إِلَى هَذِهِ الْبَلَدَةِ
فَقَالُوا لَهُ : لَا تَمَّا - شَرَّافٌ عَنِ زَوْجَةِ
فَنَارَتْ بِهِ غَضَبَةً - ثَبَّكَ فِي بَيْتِنَا أَثْبَتِ
وَمَسَّالَتْ بِهِ عِصْرَةً - وَبِثُورِكَ فِي الْغَضَبَةِ
وَقَالَ إِذَا لَمْ يَكُنْ - وَبِثُورِكَ فِي الْعِصْرَةِ
فَسَلَا بِسَارِكِ اللَّهِ فِي - لِسَدِي سَمَوِي نَسْبَتِي
وَزَوْجِهِ ذُو الْجَلَا - خِلَالِي وَلَا هَمَّتِي
فَعَاشَ سَعِيدَ الْفَسَا - ل مِّنْ أُمِّهِ الْبَرَّةِ
كَذَا عَنِ أَبِي أُمِّهِ - د بِهَا هَانِي الْعُشْرَةِ
: هَمَامُ الْيُمْنِ الْإِلَـ - حَكِي مُجْمَلِ الْقِصَّةِ
يُرَافِقُكَ اللَّهُ فِي - هُ فِي الْخَفِظِ وَالْعَصْمَةِ
وَأَنِّي لِمُسْرُورَةٌ - خَطْسِي هَذِهِ السَّافِرَةُ
وَمَنْ كَمَحْمَدٍ فِي - بِرَعِيَّتِكَ لِلصُّحْبَةِ
وَلَا تَكُ وَالذَّمَّةُ !

حسن

بِحَبِّكَ عَظَمِي عَلَيْهِ وَحَبِّي لِعَلْوِيَّة
ألم يسعيا قبل في دحولك في عصمتي ؟
ألم يسدلا الجهد في هنائك أو غبطتي
وقد عدتها أمس وهي تنقشع بالزفرة !
بنفسي تريد الحياة على جسدي ميت !
تنوح على نفسها وتزخر بالحسرة !
وقد أنفدت دمعها فتبكي بلا دُمعة !
رثيت لها يا همام وخفت على خلقي
لأنني أراها تشير إلى الموت من حفيظة !
فمن أجلها يا همام شكوكي في صحتي
واحساس قلبي بأني قريب من النقلة
ولكن لعل الإله يكشف من محنتي
سأمضي لتبشيرا وتفرجها بالتي
لعل بها أن تكف من علكن اللوعة !

المشهد الثالث

(محمد على فراش المرض . ليس عنده سوى أمه
المجوز تعلله من حين إلى حين وتدخل عليه الخادم بمكتوب فيفضه
بيد مرتعشة فإذا هو من حبيبته علوية وإذا فيه) :

يا حبيبي ! مسني عليك سلام	وسلام الرحمن فوق سلامي
يا حبيبي إن المنيّة جام	كلنا شاربٌ بذاك الجّام
والسعيد الذي يموت سليم الـ	قلبي عفّ الرداء من كل ذام
فمتى جاءك النّعي بموتي	فترحم على شهيد الغرام !
أنا في النزاع يا حبيبي قصيراً	لا تضعّزع لحادث الأيام
ووداعاً إلى اللقاء! على الكو	ثرا في الخلد! في جوار السلام!
إن تحلّ بيننا الحياة ففي الخلد	سأستحظى بلقمة وئام
سيرى الحائلون دون الجيّبـ	ين جزاء الإله ذي الانتقام

علوية

محمد : (يتقلب على الفراش ذات اليمين وذات اليسار بجهد
ومشقة)

هي في النزاع! آه ما أعظم الخطـ	سب وأقسى على فؤادي الدامي!
هي في النزاع! ربّ هون عليها!	حسبها ما رأت من الآلام!
منعوها الحياة ظلماً فأودوا	بحياة بريئة الأحلام
رب! لا تحير في الحياة! فالخـ	ني بها واكفيني عناء السقام
هي روح الوجود مني وما يُضـ	نّع بعد الأرواح بالأجسام ؟

أَكْذَا نَتْرُكُ الوجودَ ولم نَحْـ ظُ بُوصل ، ولم نُفْزِعْ عِرام ؟
أَكْذَا يُرْفَعُ البساطُ وما دَا رَتُّ عَلَى العَاشِقِينَ كَأْسُ مِدام ؟

(يحاول أن ينحرف إلى جنبه فلا يستطيع من الضعف والإعياء)

رب ماذا أحسُّ ؟ هذا فتور عَجَبٌ في مفاصلي وعظامي !
نحار جسمي فما أطيق حراكًا ! وتنسأهت بُسرودة الأقسام
ما لرأسي أضحي عليَّ ثَقِيلًا وجفوني يُغْرِينَنِي بالنام !
ويدي لا تطيق حمل سِواكي ! ولساني تعثرت بالكلام !
وفؤادي دقاته تَسْوالِي عُلَّ هذا نذيرُ قرب الحِمام
(يتذكر صديقه همامًا)

أين ولَّى همامٌ ؟ يا ليتَه عند سدي أراه في مُنتهى أيامي !
نضر الله وجهه من صديق غلّص لي على مدى الأعوام
كم هداني من الضلال، وكم عبَّ سد سُبُل الحياة من قدامي
أم صوبَ الحجاز في لفحة الصيب ف حريصًا على قضاء مرامي
ليس يدري أنني بملرَجَّة المِو ت وَأني على شفير الرِّجَام
ومضى غيرَ عالم أن حُسْنًا مُنِيت بعده بِجُمِّي لِإِسْرام
ليت شعري إن جاء نعي همامًا ثم ماذا تكون حال همام ؟
أو أصيبت - لا قدر الله - حسنٌ فهي أدهى فجائع الأيام !
وهو في غُرْبَةٍ وليس لديه من يهدِّي فؤاده المِرامِي !
مُنَّ يا رب بالشفاء عليها لا تذرْها رَمِيَّةً للسَّهام

* * *

إن من خلفها فتى ينصر الحق جهارًا وعن هداك يحامي

شع من هديه على القطر نور
واستعداد الجمود سلطانة الضحك
هي سلوانه الوحيد من الدنس
عونه إن جنى الجهاد عليه
(يمسك بيديه على أضلاعه)

يا فؤادي دنا الخلاص فصيلاً
وستلقى الحبيب في ربوة الخلد
وساغدو إلى الإله فيعفو
وسأشكو إليه من رزأوني
وأراقوا دمي البريء ، وضحووا
تخلوا الدين جنة يتوقسوا
فسيديرون أنبي عليّ
غير أن الحمام أهون عندي
وأدعائي به على الناس فضلاً
عز دين الإسلام لقد جعل لنا
لم يدع ميزة لزيد على عمه

سوف تسلم هذي الجراح الدوامي
سد يحبك ثغره بابتسام
عن ذنوبي وسالف الآثام
- في ربيع الحياة - في أحلامي
بحبيبي في مذهب الأوهام !
ن بها في السرى سهام الملام
تنتهي نسبي خير الأنعام
من فخاري بالجد والأعمام
يتقاضاهم رسوم احتزامي
س سواء في شرعه المتسامي
سرو ، ولا حارث على همّام

(يلتفت إلى أمه وهي بجانب فراشه واهية الأركان ترونو إليه
في ذهول وتحدّر دموعها ولا تستطيع الكلام من الأسى)
إصيري يا أماء ! فالله أبقي لك مني ومن جميع الأنعام !

(يصوب نظره إلى السماء)

رب رفقا بقلبهما المتشظي ! وحنانيك بالدموع الهوامي !
كن لها إن أنت ضحى بطعامي فتسادي وليس رب الطعسام !
كن لها إن أنت سريري لإيقا ظي ؛ فتزد عنه والقلب دام !

(تنحدر من عينيه دمعتان كبيرتان ويدخل في دور
الاحتضار الأخير)

(بصوت متقطع)

رب ! من ذا أرى ؟ ملاحكة الموتي ؟ ألا مرحبا بوفد السلام !
رب ! إني آمنت أنك أنت الله — رب الجلال والإكرام
ونبيي محمد سيد السائدين — ذات طهه إمام كسل إمام
كل زادي إليك خالص توحيد — سدي فهب لي يا رب حسن الختام

المشهد الرابع

همام في مكة بمنزل استأجره قريب من المسجد الحرام . يأتيه
موزع البريد ويسلم إليه برقية من عدن . يوقعها همام فيخرج
الموزع .

همام : (بيده البرقية لم يفتحها بعد)

برقية ! ما شأنها قل لي ؟ هل مات لي أحد من الأهل ؟
إنني أحس كأن حادثة جللا ستُفجعنني على مهل
يا برقي ماذا أنت تحمل لي إنني أراك تنوء بالثقل !
قلبي يحدثني ؛ ولم أره يوما يحدثني على جهل

(يفتح البرقية ويحيل نظره فيها بسرعة)

ماذا ؟ أماتوا ؟ أماتت حُسنُ ؟ واكبدي
رباه ..! خذ بيدي ! ربابه ..! خذ بيدي !
(يسقط من معدنه على الأرض مغشيًا عليه . يسمع جاران
له من الحجاج هدة سقوطه فيفتحان عليه الباب حيث يجذانه

ملقى فاقد الشعور . يحركه أحدهما ويأتي الآخر بماء وبرشه
على وجهه . يفتح عينيه ثم يتحامل على نفسه حتى يجلس) :

يا حسرتي اليوم فارقت الحبيب إلى
غير اللقاء ! وراحزني رواكسدي ؟
أشكو إليك إلهي ما مُنيت به .
من الخطوب ولا أشكو إلى أحد !
كأنما أنا لم أخلق لأشهد من
هذي الحياة سوى البأساء والنكد !
اليوم أسكب دمعي غير منقطع
إن غاض دمعي بمُدّه دم الكبد !
يا رب لم يسق لي في العيش من أرب
فلقني راحتي في هذه البلد !

(ينظر مرة ثانية في البرقية)

أماتت إذا حسن؟ ومات محمد	وماتت علي أثر السقام فتاته !
ثلاثة أحبائي يوم فقدتهم !	فيا لفراد أنجنت طعناته ؟
يلوب من الشكوى ويدمي من الأسى	وليس إلى غير الإله شكاته
محمد يا نعيم الأخلاء والذي	صفت مثلما تصفو المدام صيفاته
حنانك لا تبعدا لمن أنت تاركي؟	لقاسي زمان أولعت بي عُذاته ؟
ويا ساعدا الإصلاح والباسل الذي	به ارتفعت في قطرنا صرخاته

أتمضي ولم نهتك من الجهل سِيره وما أنفضَّ عن صرح الجمود حُماته ؟
 أتمضي وفي جنبيك قلبٌ معطر من الحب لم تُبللْ بوصلي لهاته ؟
 أحين ظفرنا بانتسابك واضحًا تُغصُّ به حلقَ الحسود شجاته ؟
 أحين ظفرنا بانتسابك واضحًا تكفُّ به طرفَ الحسود قذاته ؟
 وكنت على قاب من الوصل هائما تطلُّق عن غُرِّ المنى بسماته ؟
 وأنت فتاةُ النبل والطهر والحجى تغشتك من رُوح الرضى نفحاته
 لضاعفَ من حزني فراقك أنه فراقٌ به لاقتُ حبيبي وفاته
 أراك وفاءً ما رأى الناس مثله فدَى لحبيب بالوفاء مُماته
 ولم أنسَهُ لما رآك مريضاً فجاشت به في مشهدي حسراته ؟
 (تنهمر دموعه)

يقول : كساني يا هُمام سأنتهي كأن حِمامي قد أقيمت صلاته !
 فقلت له : دع عنك وهمك، إنَّ ذا محيَّاك نضر لم تحلَّ قَسَماته !
 فأصغى لقولي وأطمأن فؤاده وقرت - على سحر الردى - رجفاته
 وما كنت أدري أنني أنا وأهم وأن حبيبي صادقُ كلماته !

(يريد أحد الجارين أن يقيم هماما من الأرض فيجذبه)

(صاحبه)

لئن كان أنسي في الحياة لقاءه
كانني بالثغر الجميل على فمي
كانني بالفرع الجميل عنكبي
كانني بيميناه تحول بفرقي
لئن حالت الأيام بيني وبينه
ففي جنة المأوى غداً سوف نلتقي
وإن عزاء القلب إيمانه به
(ينهض فجأة)

خذوني خذوني إلى المسجد
خذوني إلى زمزم عليها
خذوني لأستار بيت الإله
دعوني أذهب إلى خالقي
دعوني أخط على بابي
فإن أحي على لطفه
خذوني إلى الحجر الأسود !
تبرد من حروبي الموقد !
ه أشد بها في ابتهاج يدي
دعوني أذهب إلى سيدي !
يقال الدموع وأستغفد
وإن يأتني البسوت أستشهد

(يخرج إلى المسجد الحرام يرافقه جواره . يقصد زمزم
فيكرع من مائها يتوضأ ويذهب إلى المطاف يطوف .. ثم يقف
تجاه الملتزم ويتعلق بسور البيت :
الحمد لله أطماناً قلبي ! هأنذا بين يميني ربي ؟
إن عظمت مصيبي وخطبي فالله يرعائي وهو حسبي !

يا رب أنت الواحد القهار وأنت ذو الرحمة والجلال
تفجرت من نورك الأنوار وقصرت عن كنهك الأفكار

* * *

يا رب لا نقض لما أبرمتنا ! فرضني رب بما حكمتنا
لعلني أجهل ما علمتنا من صالح لي في الذي أقمنا

* * *

يا رب ألهمني العزاء الشافي ! واضميد جروحي منك بالألطاف
وآتني عزائم الأسلاف فأنت لي الكافي ونعم الكافي

* * *

وأولني مني في الدارين (حسناً) اجمع بينها ويسني
في دار عابد بين جنتين أقرر بذلك عينها وعيني

* *

يا رب وارفع (أمة الإسلام) واقلف بها إلى المقام السامي
حتى ترى خفاقة الأعلام على جميع الكون بالسلام

* * *

وَوَحَّدَ (الْعُرْبَ) ، فَإِنَّ الْوَحْدَ تَحْيِي لَهَا ماضِيَّهَا وعَهْدَهُ
تَعِيدُ بَعْدَ الْإِنْسِرَاسِ بِمَجْدِهِ وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ يَوْمًا وَعَدَهُ

* * *

وَانْظُرْ إِلَى (الْأَحْقَافِ) بِالرَّعَايَةِ وَأُولَئِهَا بِفَضْلِكَ الْعِنَايَةُ
بِالْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْهُدَايَةِ فَجَلَّ عَنْهَا الْجَهْلُ وَالْعَمَايَةُ

* * *

وَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
وَالسَّامِعِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ مَا طَلَعَتْ كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ

* * *

هَذَا وَقُوفِي خَاشِعًا بَيْنَ يَدَيْكَ ا وَتَائِبًا مِنْ كُلِّ آثَامٍ إِلَيْكَ
مُتَكَلِّفًا فِي كُلِّ أَحْوَالِي عَلَيْكَ لَيْسَ بِكَ يَا رَبِّ الْجَلَالُ لَيْسَ بِكَ ا

* * *

(سِتَارُ الْخَتَامِ)

للمؤلف

- ١ - هُمام أو في بلاد الأحقاف
- ٢ - أختاتون ونفرتيقي
- ٣ - سلامة القس
- ٤ - والإسلاماه
- ٥ - قصر الهودج
- ٦ - الفرعون الموعود
- ٧ - شيلوك الحديد
- ٨ - عودة الفردوس
- ٩ - روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
- ١٠ - سر الحاكم بأمر الله
- ١١ - ليلة النهر
- ١٢ - السلسلة والغفران
- ١٣ - الثائر الأحمر
- ١٤ - الدكتور حازم
- ١٥ - أبو دلامة (مضحك الخليفة)
- ١٦ - مسمار جحا
- ١٧ - مسرح السياسية
- ١٨ - مأساة وأديب
- ١٩ - سر شهر زاد

- ٢٠ - سيرة شجاع
- ٢١ - شعب الله المختار
- ٢٢ - إمبراطورية في الزاد
- ٢٣ - الدنيا فوضى
- ٢٤ - أوزوريس
- ٢٥ - فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية (محاضرات)
- ٢٦ - دار ابن لقمان
- ٢٧ - قطط وفيران
- ٢٨ - إله إسرائيل
- ٢٩ - هاروت وماروت
- ٣٠ - الزعيم الأوحى
- ٣١ - جلفدان هانم
- ٣٢ - قاب قوسين
- ٣٣ - الفلاح الفصيح
- ٣٤ - ملحمة عمر (١٨ جزءاً)
- ٣٥ - جبل الفسيل
- ٣٦ - هكذا لقي الله عمر

رقم الإيداع : ١٠٢٢١ / ١٩٩٧
الترقيم الدولي : 4 - 1112 - 11 - 977

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - البجالة



الثلث ٣٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
معد جودة السحار وشركاه

To: www.al-mostafa.com